علاقة اسم الله تعالى "الحكيم" باسم الله تعالى "العزيز" في القرآن الكريم "دراسة موضوعية"

The Relationship Between the Name of Allah (Al-Hakeem) With the Name of Allah (Al-Aziz) in an Objective Approach

مها فهيم سعيد يوسف

الأستاذ المشارك الدكتور/ السيد سيد أحمد نجم

قسم أصول الدين والدعوة كلية العلوم الإسلامية

جامعة المدينة العالمية

ملخص:

يعنى هذا البحث بموضوع: علاقة اسم الله تعالى "الحكيم" باسم الله تعالى "العزيز" "دراسة موضوعية "؛ وذلك لأهمية العلم بأسماء الله تعالى الحسنى في فواصل القرآن الكريم، ومعرفة دلالاتها في السياق. وتتمثل مشكلة البحث في دراسة اقتران هذين الاسمين الجليلين على التحديد من خلال النظر في السياق الذي وردا فيه، والبحث في آراء المفسرين وتوجيهاتهم، وأقوال علماء العقيدة واللغة؛ لإبراز دور هذا الاقتران وتأثيره في واقع النظام العقدي والتشريعي والأخلاقي الإسلامي، وأنّ لهذين الاسمين مقترنين أحكاما ومعاني جديدة تَضاف إلى ما تَفَرَّد به كلٌّ منهما منفردا، ومن ثم الكشف عن تأثيرهما في حياة المسلم، الأمر الذي من شأنه أن ينهض بهذه الأمة ويرتقي بها من خلال التفعيل والتطبيق، وخلُصت هذه الدراسة إلى نتائج تفضي إلى الإجابة عن محور البحث الأساس وهي: أن اقتران اسم الله تعالى "العزيز" باسمه "الحكيم" يظهر مسلكًا دقيقًا ومنحى جليلًا في إعجاز القرآن الكريم من حيث دقة التناسب والتناسق بين سياق الآية وما تحمله من معان، وبين فاصلتها بهذين الاسمين الكريمين اللذَين وردا في سياق الحديث عن تمجيد الله تعالى وعزته ونصره، وفي سياق استعطاف العباد لله عز وجل، وفي سياق إرسال الرسل وإنزال الكتاب والتشريعات، وفي سياق الوعد والوعيد، وأن اسم الله تعالى "العزيز" تقدم على اسمه "الحكيم" في كل مواضع الاقتران، وهو من باب تقديم السبب على المسبب، وتأخر الغايات عن وسائلها، وأيضا من لطائف التقديم أن" العزيز" من صفات الذات، بينما "الحكيم" من صفات الأفعال

Abstract

This research deals with the relationship between the names of Allah (Al-Hakeem) and (Al-Aziz) in an objective approach, due to the importance of knowing verses ending words and knowing its implications in the context of the verse. The problem of this research is to highlight the role of this association, through a deep look into the context in which those names were mentioned, and research the interprets' thoughts and directions, and the saying of linguistic and creed's scholars to highlight the role of this association and its impact on the reality of the moral, legislative and ethical system of Islam, and to show that these two name are accompanied by advance provisions and meanings that are added to the uniqueness of each individual name, then this research study disclose their impact in the muslim's life, which would raise this nation and help making a progress through the activation and the application of the provisions.

This study concludes with results that lead to the answer to the main research axis: that the combination of the name of Allah "Al-Aziz" and his name "Al-Hakeem" shows a precise path and very oriented curve in the miracles of the Holy Quran in terms of accuracy of proportionality and consistency between the context of the verse and its meanings, and ending it with those two glorious names which were mentioned in the context of glorifying God and his pride and victory, the context of worshippers' requests from Allah, the context of sending messengers and books with legislations and the context of the promise and the intimidation, and we should point out that the name of Allah "Al-Aziz" always precedes the name "Al-Hakeem" in all of the contexts, in order to put the cause before the reason, and the delays of ends from their means, furthermore, from the contextual rhetoric in the way they were introduced, that the name "Al-Aziz" is from the self-describing adjectives, while "Al-Hakeem" is from the qualities of deeds adjective.

الكلمات المفتاحية: الأسماء الحسنى، البعد الثالث للاقتران، مناسبة الأسماء المقترنة للسياق، الفواصل القرآنية..

المقدمة

الحمد لله العزيز الحكيم، والصلاة والسلام على رحمة الله تعالى المهداة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن اقتدى بهم إلى يوم الدين، أما بعد.

فإن تلاوة آي القرآن الكريم والتدبر في معانيها من الأمور المأمور بها شرعا، فآياته محكمة أنزلها -سبحانه وتعالى- لتستقيم حياة البشرية على منهاج سماوي، ومن المظاهر الإعجازية في كتاب الله تعالى والتي لا تخفى على من يتدبر القرآن الكريم: (ظاهرة فواصله) وما جمعته هذه الفواصل من أسماء الله تعالى الحسنى، ولا سيما حين يكون هناك تشابه في هذه الفواصل، فيختم "عزيز حكيم" ب"عزيز رحيم"، وقد يظن أنها جاءت لموافقة إيقاع الفواصل في السورة فحسب، وقد يجد صعوبة بالغة في ضبط حفظه وتلاوته على وجهها الصحيح.

وقد حصل اللبس في هذه الفواصل مع جهابذة العلم من المتقدمين، فهل لتلك الفواصل قانون؟ وهل لختم الآي بأسماء الله الحسنى أسرار وحكم؟ الجواب: بالتأكيد نعم، لها قانون ينظّمها، وفيها من الحكم والأسرار ما يجعلها وجها متفردا من وجوه الإعجاز في السياق القرآني، يكشف عنه التفكر في سياق الآية وما تقدمها، بل وقد يتعدى ذلك إلى الآية اللاحقة، وإلى جانب التفكر لا بد من البحث الطويل في ثنايا كتب التفسير التي شرحت معانيها؛ فيجد الباحث الدقة المتناهية في مجيء فاصلة ما مؤكدة أن الله تعالى متصف بالعزة والحكمة، أو العزة والرحمة، أو العزة والعلم، أو العزة والمغفرة... إلخ، ولا يستقيم غيرها، وهذا يسهم في إدراك جمال النص القرآني وحكمته ويشرق في القلب نور الانقياد.

إشكالية البحث:

انبثقت مشكلة البحث الحالية من العلاقة بين اسمين من أسماء الله تعالى الحسنى وردا مقترنين في القرآن الكريم، وهما: اسم الله تعالى "الحكيم" واسمه "العزيز"، ويقوم محور هذه الدراسة على النظر في السياق الذي وردت فيه، والبحث في آراء المفسرين وتوجيهاتهم،

وأقوال علماء العقيدة واللغة؛ لإبراز دور هذا الاقتران وتأثيره في واقع النظام العقدي والتشريعي والأخلاقي الإسلامي، وأنَّ لهذين الاسمين مقترنين أحكاما ومعاني جديدة تضاف إلى ما تَفَرَّد به كل منهما منفردا، الأمر الذي من شأنه أن ينهض بهذه الأمة ويرتقي بها من خلال التفعيل والتطبيق.

أسئلة البحث

- ✓ ما أبرز القضايا التي اقترن بها هذان الاسمان الكريمان؟
- ✓ ما البعد الجديد للمعنى الذي أضافه الاقتران فضلا عن معنى كل اسم منفردا؟
- ✓ ما الحكمة من تقدم اسم الله تعالى"العزيز" على اسمه "الحكيم" في جميع الآيات؟
- ✓ أهداف البحث

- استنباط أسرار ورود الاسمين مقترنين في السياقات المختلفة: تمجيد الله تعالى وعزته، واستعطاف العباد لله ﷻ، وإرسال الرسل، وإنزال الكتاب، والتشريعات، والوعد والوعيد.
- توضيح البعد الجديد للمعنى الذي أضافه الاقتران لمعنى الآية.
- إبراز وجه تقدم اسم ٧٧١
- لله تعالى "العزيز" على "الحكيم" في جميع الآيات.

أهمية البحث

- التفقه بمعرفة أسماء الله تعالى الحسنى ودلالاتها في القرآن الكريم هو السبيل إلى معرفة الله تعالى ومحبته؛ مما يزيدنا إيمانا به.
- انعكاس هذا الإيمان على النفس؛ فيشرق في النفس نور العمل بمقتضاها؛ فينقاد العبد لأمر الله تعالى حبًّا، ويقطع ما بينه وبين الشبهات والشهوات.
- الكشف عن دور السياق القرآني في بيان دلالة الاقتران بين اسمي الله تعالى"العزيز" و"الحكيم".

مصطلحات البحث

معنى أسماء الله تعالى الحسنى:

عرَّفها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بأنها: "هي التي يدعى الله تعالى بها، وجاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي بنفسها المدح والثناء لله عز وجل"(١).

معنى "العزيز" لغة: عند تتبع مادة "عزز" ومبانيها الصرفية في معاجم اللغة؛ نجد تنوعا في معناها ومن هذه المعاني: قال الزجاج رحمه الله: "إن أصل "عزز" في الكلام: الغلبة والشدة"(٢). وقال الخطابي رحمه الله: "يكون بمعنى نفاسة القدر، يقال: منه عز الشيء يعزُّ بكسر العين، أي: الذي لا يعادله شيء، وأنه لا مثل له ولا نظير"(٣).

معنى "العزيز" اصطلاحا: العزيز هو الجامع لجميع الممكنات، الذي تشتد إليه الحاجة، ويصعب الوصول إليه، وهو الغالب لكل شيء، يحكم كلَّ شيء، وهو الغالب الذي لا يغلب، والقاهر الذي لا يقهر(٤).

معنى "الحكيم" لغة: قال الزجاج -رحمه الله-: "أصل "ح ك م" في الكلام: المنع وسمي الحاكم حاكما؛ لأنه يمنع الخصمين من التظالم، وحكمة الدابة سميت حكمة؛ لأنها تمنعها من

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (١٤١٥هـ)، شرح العقيدة الأصفهانية، ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ص١٩، بتصرف.

(٢) الزجاج، أبو إسحاق السري، (١٩٧٥م)، تفسير أسماء الله الحسنى، ط٢، بيروت: دار المأمون للتراث، ص٣٢.

(٣) انظر: الخطابي، أبو سليمان حمد بن مُحَمَّد، (١٩٨٤م)، شأن الدعاء، ط١، بيروت: دار الثقافة العربية، ص٤٧.

(٤) انظر، الغزالي، أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد، (١٩٨٧م)، المقصد الأسنى، ط١، قبرص: الجفان والجابي، ص٦٢.

الجماح، وحكمت فلاناً تحكيما منعته عما يريد"[١]. وقال الجوهري -رحمه الله-: "والحكم، بالتحريك: الحاكم، والحكم أيضا: الحكمة من العلم، والحكيم: العالم وصاحب الحكمة"[٢].

معنى "الحكيم" اصطلاحا: عند النظر في أقوال العلماء في بيان اسم الله تعالى الحكيم نجد أنها متفقة في أن الله تعالى حكيم في أقواله وأفعاله، ويضع الأشياء في محالها، قال الحليمي -رحمه الله-: "معنى الحكيم: الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، وإنما ينبغي أن يوصف بذلك؛ لأن أفعاله سديدة، وصنعه متقن، ولا يظهر العمل المتقن السديد إلا من حكيم"[٣]

منهج البحث

المنهج الذي التزمته الباحثة في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي الاستقرائي الاستنباطي الذي يقوم على تتبع ظاهرة معينة؛ بقصد دراستها وتحليلها وفق منهج خاص لتحقيق الهدف المطلوب.

وقد قامت الباحثة بتتبع الآيات القرآنية الكريمة -موضوع البحث- وجمعتها من سورها، وحلَّلتها، وذلك بذكر أقوال أشهر المفسرين فيها، مع استنباط المفاهيم والمعارف المتعلقة بمطالب البحث منها.

الدراسات السابقة

اطلعت الباحثة على الكثير من البحوث والرسائل العلمية التي تبحث في أسماء الله تعالى الحسنى في القرآن الكريم من جوانب متعددة، بعضها نشر، والبعض الآخر لم ينشر، ولم تجد دراسة علمية تحمل هذا العنوان، أو تبحث في هذا الموضوع بصورة مستقلة ومن نفس الجوانب التي تناولتها هذه الدراسة، وتبيَّن أن أقرب دراستين لموضوع الدراسة هما:

(١) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، مرجع سابق، ص٤٣.

(٢) الجوهري، اسماعيل بن حماد، (١٩٨٢م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٥ط، المدينة المنورة:مكتبة العلوم والحكم، مادة "حكم".

(٣) الحليمي، (١٩٧٩م)، كتاب المنهاج في شعب الإيمان، ط١، بيروت: دار الفكر، ج١، ص١٩١.

أولا:- أوجه بلاغة الفاصلة القرآنية في أسماء الله تعالى الحسنى "عزيز" و"حكيم" نموذجين، رسالة درجة الماجستير، الجامعة الهاشمية، تخصص الأدب والنقد، للباحث: مراد مُحَمَّد الحمدان، إشراف الدكتور: ثناء نجاتي عياش، العام الدراسي: ٢٠١٢م.

ثانيا: الأسرار التفسيرية لما ورد من الأسماء الحسنى فواصل قرآنية: رسالة مقَدَّمة لنَيل درجة الدكتوراه، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، جمهورية السودان، قسم التفسير وعلوم القرآن، للباحث: أحمد عبد المولى المناعي، إشراف الدكتور: أحمد عباس بدوي، العام الدراسي: ٢٠١٥.

التحليل الموجز للدراسة الأولى وأبرز نتائجها:

قَسَّم الباحث دراسته إلى ثلاثة فصول، تناول في الفصل الأول منها الدلالات اللغوية لاسمي الله تعالى "العزيز" و"الحكيم"، وتتبع فيها الدلالات اللفظية والمعنوية لكلا الاسمين، ثم تناول في الفصل الثاني تحليلًا بلاغيًّا للآي التي اقترن بفاصلتها اسم الله "العزيز" بغيره من أسماء الله تعالى الحسنى، وذلك ضمن مباحث اختص كل منها بالاسم الذي جاء معه "العزيز"، ثم تناول في الفصل الثالث الآي التي اقترن بفاصلتها اسم الله تعالى "الحكيم" بغيره من أسماء الله تعالى الحسنى وحلَّل ذلك تحليلًا بلاغيًّا، واتبع في دراسته منهج التفسير الموضوعي الوصفي.

ومن أبرز نتائج هذه الدراسة، أن مجيء الفاصلة القرآنية منتهية باسم من أسماء الله تعالى الحسنى لا يَرِدُ عبثًا، بل هو لغاية يُمكن معرفتها من خلال النظر والتأمل في مضمون الآية والسَورة بأكملها.

التحليل الموجز للدراسة الثانية وأبرز نتائجها:

قَسَّم الباحث دراسته إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، تناول في التمهيد تعريف الفاصلة القرآنية، ودورها في تحقيق الإعجاز البياني، وعرض عرضا

مجملًا لمعاني أسماء الله الحسنى –موضوع بحثه–، ثم تحدَّث في الفصل الأول عن الأسرار التفسيرية لما ورد منفردا من أسماء الله الحسنى في الفواصل القرآنية، وتناول في الفصل الثاني ما ورد منها مقترنا بغيره، وتحدَّث في الفصل الثالث عن بعض اللطائف الإعجازية الواردة في جملة الفاصلة القرآنية، وأودع في الخاتمة أهم النتائج، واتَّبع في دراسته المنهج الإحصائي والاستقرائي الاستنباطي.

ومن أبرز نتائج هذه الدراسة، أن للفاصلة القرآنية دورا بارزا في تحقيق الإعجاز البياني الذي يُعدُّ عماد الإعجاز القرآني، وأن الترابط بين الفاصلة ومضمون الآية منه ما هو جليٌّ ظاهر، ومنه ما هو خفيٌّ يحتاج إعمال فكر، وأن ما ورد من الأسماء مقترنا بغيرَه، وجاريا على نسق واحَد من حيث الترتيب– قد اقتضاه منطق البيان القرآني ودقة التأليف، وأنه حين نقرأ كتاب الله نجد بعض السياقات متشابهة أو متقاربة في الدلالة، لكنَّ كل سياق فصَّل بما لم يُفصِّل به الآخر، وهذا دليل على أن القرآن بلغ نهاية البيان والبلاغة.

وقد اتضح للباحثة أن الدراستين –وإن اتفقت معها في المنهج العام– إلا أن هذه الدراسة التزمت المنهج الوصفي"الاستقرائي الاستنباطي"، وذلك باستقراء جميع الآيات الكريمة –موضوع البحث–، ثم تحليلها وتفسيرها، واستنباط المفاهيم المتعلقة بموضوع البحث، واستخراج الهدايات والآثار الإيمانية العقدية والسلوكية على الفرد والمجتمع، وهذا ما تفتقره الدراسة السابقة؛ حيث تناولت بعض الآيات موضوع الدراسة وليس جميعها، وركزت على بعض الجوانب دون بعض.

حدود البحث: الآيات القرآنية الكريمة التي ورد فيها اسم الله تعالى "الحكيم" مقترنا باسمه "العزيز" في مختلف صوره.

إجراءات وأدوات البحث:

١. جمع الآيات القرآنية الكريمة التي ورد فيها اسم الله تعالى"الحكيم" مقترنًا باسمه "العزيز".

٢. توثيق الآيات القرآنية الكريمة بعزوها إلى أرقامها وسورها وجعلها بين قوسين مزهرين.

٣. ربطُ جميع مباحث ومطالب البحث بالآيات القرآنية؛ فهي قُطب الدراسة ولُبها.

٤. القيام بتفسير الآيات القرآنية الكريمة –موضوع البحث– بذكر أقوال أشهر المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، مع الاختصار غير المخل بالمعنى، ونسبة القول لقائله ووضعه بين علامتي تنصيص إذا كان النقل بالنص، وبين قوسين هلالين ( ) إذا كان النقل بالمعنى، وتوثيق كل ذلك في الحاشية.

١. تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصيلة من كتب الحديث المعتبرة عند أهل العلم، ووضعها بين قوسين مزدوجين (())، والاكتفاء بذكر أعلى مصدرين، الاكتفاء بقول الرسول ﷺ، أو الراوي الأعلى من سند الحديث.

٢. ختم البحث بخاتمة فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة، وبعض التوصيات.

واستعانت الباحثة بالأدوات الآتية:

١. قواعد البيانات والمكاتب الإلكترونية على شبكة الإنترنت.

٢. المكتبة الرقمية لجامعة المدينة العالمية.

٣. الكتب الأصيلة ذات الصلة بموضوع البحث من المكتبة الشاملة.

تقسيمات البحث

تتكون الدراسة من: **مقدمة، وسبعة مباحث، وخاتمة:**

المبحث الأول: اقتران اسم الله تعالى "العزيز" واسمه "الحكيم" في السياق القرآني.

المبحث الثاني: تعلق اسم الله تعالى "العزيز" واسمه "الحكيم" في سياق تمجيد الله تعالى.

المبحث الثالث: تعلق اسم الله تعالى "العزيز" واسمه "الحكيم" في سياق الدعاء والرحمة.

المبحث الرابع: تعلق اسم الله تعالى "العزيز" واسمه "الحكيم" في سياق قدرة الله تعالى.

المبحث الخامس: تعلق اسم الله تعالى "العزيز" واسمه "الحكيم" في سياق القتال.

المبحث السادس: تعلق اسم الله "العزيز" واسمه "الحكيم" في سياق تنزيل الكتاب وما تضمنه من الشرائع والأحكام.

المبحث السابع: تعلق اسم الله تعالى "العزيز" واسمه "الحكيم" في سياق الوعد والوعيد.

الخاتمة: وتشتمل على نتائج الدراسة والتوصيات.

المبحث الأول

اقتران اسم الله تعالى "العزيز" واسمه "الحكيم" في السياق القرآني

اقترن اسم الله تعالى "الحكيم" باسمه "العزيز" في فاصلة سبع وأربعين آية من القرآن الكريم، منها ست عشرة آية مكيَّة، وإحدى وثلاثين آية مدنية، والملاحظ هنا: أن عدد الآيات المدنية ضعف عدد الآيات المكية، ويبدو أن لسمات المجتمع المدني والمكي، وملامحهما، وطابعهما تأثير على وروود هذين الاسمين الكريمين في الآيات، فالآيات المدنية نزلت بعد الهجرة، وقيام الدولة الإسلامية، وكانت العقيدة قد تمكنت في النفوس، وتهيأت لقبول تفاصيل التشريع، من خلال مجموعة من الأوامر والنواهي، والتي تحتاج إلى التركيز على أسماء حسنى معينة تدور مع المعنى وتؤكده وتقويه، وبذلك يتحقق ما تهدف إليه تلك الآيات، وهو إصلاح الفرد والأمة.

ووروودها في القرآن المكي يناسب مقام القرع والتخويف لأمة طغت عليها الوثنية، واستبد بها الاعتزاز بدين الآباء والأجداد؛ فناسب خطابها بهذين الاسمين الكريمين؛ لأن العرب تفهم معنى العزة، ولذا نجد الحق يطمئنهم بأن ربهم مع عزته فهو حكيم، وهذا مناسب لمقام التخويف من جهة، والترغيب من جهة أخرى، وهذه سمات القرآن المكي.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لم يرد أحد الاسمين مفردا في القرآن الكريم، وإنما وردا مقترنين، عكس كثير من الأسماء التي وردت في القرآن الكريم مرة مفردة، ومرة مقترنة، وتبيَّن للباحثة – من خلال دراسة الدلالات اللغوية والشرعية لكلا الاسمين ودراسة معناها في حق الله تعالى–

: أن لهذين الاسمين الجليلين شأنا عظيما، وأن لكل منهما قدره وجلاله، فإذا ما اجتمعا معا زاد جلالهما، وفي بحثنا لدلالات هذا التجاور، فإننا نتناول قضيتين هامتين:

الأولى: ما هي الحكمة من تجاورهما بشكل عام، بغض النظر عن السياق القرآني؟ وما الحكمة من تقدم اسم الله تعالى "العزيز"على اسمه "الحكيم"؟ وهذا ما سنتناوله في هذا المبحث.

والثانية: ما حكمة ورودهما مقترنين في السياقات القرآنية المختلفة؟ وهذا ما سنتناوله في مباحث هذه الدراسة.

الحكمة من تجاور الاسمين "العزيز" و"الحكيم" بشكل عام:

إن ورود هذين الاسمين متجاورين يدل على دقة البلاغة وإحكام النظم؛ فمعنى "العزيز" -كما ذكرنا سابقا- هو من يقهر ولا يقهر، ويتصرف بملكه كيف يشاء، ولا مانع لنفاذ مشيئته، ولا راد لفضله، فهذا اللفظ فيه استدعاء لكل معاني القوة والعلو والقهر، والتي قد يتوهم في الذهن أنه قد يصاحبها أحيانا غلوٌّ وانحراف، فيأتي "الحكيم" ليهدم هذا الوهم ويستأصله من جذوره، فهذا الاسم يدعو إلى إعمال الذهن في البحث عن أسرار حكمته سبحانه وراء كل شيء، يقول الإمام الزركشي -رحمه الله- حول هذا المعنى: "فهو العزيز؛ لأن العزيز في صفات الله تعالى هو الغالب من قولهم: عزَّه يعزُّه عزًّا، إذا غلبه، ووجب أن يوصف بالحكيم أيضا؛ لأن الحكيم من يضع الشيء في محله، فالله ﷻ كذلك، إلا أنه قد يخفى وجه الحكمة في بعض أفعاله، فتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكم، فكان الوصف بالحكيم احتراسا"(١).

(١) الزركشي، مُحَمَّد بن بهادر بن عبد الله، (٢٠٠٧م)، البرهان في علوم القرآن، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ج١، ص٨٩.

الحكمة من تقدم اسم الله تعالى "العزيز" على اسمه "الحكيم":

ويلاحظ أن اسم الله تعالى "العزيز" تقدَّم في كل مواضع الاقتران على اسمه "الحكيم"، ولعل الحكمة في ذلك من قبيل تقدم السبب على المسبب؛ لأنه عز فلما عز حكم، وقد يكون وجه التقديم أن العزة كمال قدرته سبحانه، والحكمة كمال علمه، فتقدَّم وصف القدرة؛ لأنه مشاهد ملاحظ لجميع الخلق، وتأخرت الحكمة؛ لأن متعلَّقها النظر والاعتبار وإعمال الفكر، وقد يكون تأخر الحكيم من باب تأخر الغايات عن الوسائل؛ فالقدرة متعلَّقها بإيجاده سبحانه، بينما متعلَّق الحكمة بغايته، والوسيلة مقدمة على الغاية؛ لأنها أسبق في الترتيب الخارجي[1].

(١) انظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، (د.ت)، د.ط، جدة: مجمع الفقه الإسلامي، ج١، ص٦٢-٦٧ بتصرف

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١٣٧٩هـ)، بيروت: دار المعرفة، ج١١، ص٢٠٩، بتصرف.

المبحث الثاني

تعلق اسم الله تعالى "العزيز" واسمه "الحكيم" في سياق تسبيح الله تعالى وتعظيمه

سياق تسبيح الله تعالى ﷻ:

جميع الكائنات العلوية والسفلية تخضع بالتسبيح لله جل شأنه، والتسبيح هو: تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله[١]، ولا شك أن إخضاع هذا الكون بالتسبيح له سبحانه لا يقوى عليه إلا عزيز، ولو كان للكون مدبر غيره، أو إله سواه؛ لصرفها عن التسبيح له، وهو حكيم؛ لأنه ما فطرها إلا على التسبيح، وما طلب منها سواه، وقد ورد الاقتران بين اسمي الله تعالى "العزيز الحكيم" في سياق التسبيح في فاتحة سورة الحديد، والصف، والجمعة، وفي فاتحة الحشر وخاتمتها، وهي كالتالي:

١) قوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ ﴾[٢].

٢) قوله تعالى:﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ ﴾[٣].

٣) قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾[٤].

٤) قال تعالى:﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١ ﴾[٥].

(٢) سورة الحديد، الآية١.

(٣) سورة الحشر، الآية١، سورة الصف، الآية١.

(٤) سورة الحشر، الآية٢٤.

(٥) سورة الجمعة، الآية١.

لو تدبرنا محاور تلك السور والمواضيع التي تدور حولها، لوجدنا مناسبة جلية لافتتاحها بالتسبيح؛ فسورة الحديد محورها الأساس هو إرساء قواعد التوحيد، وإثبات الكمال لله ﷻ بأسمائه وصفاته، والبشارة والنذارة. أما سورة الحشر فقد أورد ابن عاشور تعليلاً لطيفاً لافتتاحها بالتسبيح فقال: "تذكير للمؤمنين بتسبيحهم لله تسبيح شكر على ما أنالهم من فتح بلاد بني النضير، وتعريض بأولئك الذين نزلت فيهم السورة، وأنهم أصابهم ما أصابهم لتكبرهم عن تسبيح الله تعالى حق تسبيحه"(١). واحتوت سورة الصف على أحداث عظيمة، من نصر المجاهدين، وأحوال الأنبياء مع أممهم، والوعد بعزة الإسلام وظهوره. وفي سورة الجمعة الامتنان ببعثة نبينا مُحَمَّد ﷺ من أمة العرب تشريفاً وتكريماً لهم، وذم اليهود الذين افتخروا بالتوراة على العرب ولم يعملوا بها، وفيها الحث على عبادة عظيمة وهي صلاة الجمعة.

مناسبة ذكر اسمي الله تعالى "العزيز الحكيم" في فاصلة تلك الآيات:

- ذكر العزة والحكمة مناسب لمقام التسبيح؛ لأن من له الكمال والعزة والحكمة يمتنع أن يوصف بالنقص، أو أن يكون له أنداد.

- كذلك، مناسب لما ذكر في صدر سورة الحشر من قصة الجلاء ونصر المؤمنين، فالعزيز: هو الغالب الذي يعزُّ من شاء بفضله، ويذلُّ من شاء بعدله. والحكيم: هو من يضع النصر والهزيمة في مكانهما المناسب، وأما خاتمتها فنجد أن التعقيب بذكر العزة والحكمة مناسب لذكر الخلق والإبداع والتصوير: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾؛ قال ابن عاشور- رحمه الله-: "وفي هذه الآية رد العجز على الصدر؛ لأن صدر السورة مماثل لآخرها"(٢).

- "وفي إجراء وصف ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في سورة الصف إيماء إلى أنه الغالب لعدوه، فما كان لكم أن ترهبوا أعدائه فتفروا منهم عند اللقاء، وفي إجراء وصف ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾، أن المتصف

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٩٨٤م)، د.ط، تونس: الدار التونسية، ج٢٨، ص٦٤.

(٢) ابن عاشور، المرجع السابق، ج٢٨، ١٢٧.

بالحكمة لا يأمركم بجهاد العدو عبثا، ولا يخليهم يغلبونكم"[١]، وعلى أي حال فالاتصاف بهذين الوصفين في الفاصلة هو لإظهار قوته ﷻ، وحكمته؛ ذلك أن المقام يقتضي ذلك.

- وأما سورة الجمعة فنجد لورود "العزيز الحكيم" في الفاصلة سرًّا لطيفًا؛ فغلبة الأنداد تقتضيها العزة، وبعثة النبي ﷺ تقتضيها الحكمة، وقال ابن عاشور -رحمه الله- : "العزيز: يعتزُّ الملتفون حوله، فمفارقتهم حضرته تفريط في العزة، والحكيم: إذا فارق أحدٌ حضرته فاته في كل آن شيء من الحكمة كما فات الذين انفضوا إلى العير ما خطب به النبي ﷺ إذ تركوه قائما في الخطبة"[٢].

سياق العظمة لله ﷻ:

إن معرفة الله ﷻ واستشعار عظمته من الأسباب الرئيسية لهداية الإنسان إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالألوهية، دعاء ورجاء واستعانة وتوكلًا، والقيام بجميع ما افترضه عليه من العبادات حبًّا وخوفًا وطمعا، وقد ورد الاقتران بين اسمي الله تعالى "العزيز الحكيم" في سياق العظمة، في ست آيات تلهب القلوب الساكنة وتقشعر لها الأبدان، نجليها فيما يأتي:

قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[٣]

هذه الآية وردت في سياق الحديث عن شأن المؤمنين الذي استحقوا به ما أعده لهم ربهم من أنواع النعيم، وتبيّنُ الأساس الذي يستند إليه هؤلاء المؤمنون، وهو شهادة الحق جل وعلا، وشهادة الملائكة، وشهادة أولي العلم، وأنه تعالى قائم في ملكوته العلوي والسفلي بالعدل فلا رب سواه ولا إله غيره، وتنفي ما ادعاه النصارى في عيسى من البنوَّة، وما نسبه سائر أهل الشرك من أن له شريكًا، وقد بدأ -جل ثناؤه- بالشهادة لنفسه تعظيما لأمر

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ج٢٨، ص١٧٤.
(٢) المرجع السابق، ج٢٨، ص٢٠٧.
(٣) سورة آل عمران، آية١٨.

وحدانيته، وللدلالة على كفاية شهادته سبحانه[١]، وذكر هذين الاسمين في مقام العظمة والوحدانية مشعر بغاية المناسبة، فإن من معاني "العزيز" الذي لا شبيه له ولا مثيل، ومقام الألوهية لا يقبل التشريك، ومن معاني "الحكيم" الذي لا يتصرف بجور، وفي هذا الوصف دليل على قسطه؛ لأنه لا يصح لكامل العزة وشامل الحكمة أن يجورَ، وهو جل شأنه قادر على أن يحملهم على الانقياد لجلاله قسرا، ولكنه شاء بحكمته أن يكون انقيادهم طوعا، فحريٌّ بالخلق أن ينقادوا للعزيز رهبة ورغبة وتعظيما، وللحكيم ثقة بحكمه ويقينا. "وقد قرن الحقُّ بين هذين الاسمين؛ لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل"[٢].

قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

هذه الآية وردت في سياق مزاعم النصارى العجيبة من أن عيسى عليه السلام إله، وأنه ابن إله، وهم مع هذا الاعتقاد زعموا أن اليهود قتلوه، وذلك ذلّة وعجز لا يجدر بالألوهية؛ لأنه كان محتاجا لإنقاذه من أيدي الظالمين[٣].

وقد فنَّد الله تعالى مزاعمهم بعد أن قَصَّ علينا القصة على الوجه الصحيح، (فوصف ذاته بالعزيز؛ لأن خلق عيسى عليه السلام بغير أب من فعلِ صاحب العزة -سبحانه- وتقديره، ووصف نفسه بالحكيم؛ إشارةً إلى حسم قضية طال حولَها الخلافَ، وللإشارة بأن الحكيمَ لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، فكان مناسبا لهذا المقام أن تُختم الآية باسمين كريمين يدلان على إثبات الألوهية لله، من جهة القدرة الناشئة عن الغلبة فلا يمتنع عليه شيء، ومن جهة الحكمة الناشئة عن العلم)[٤]. كان ذكر الاسمين في الفاصلة كالتعليل لمضمونها.

(١) انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي الأحكام، (٢٠٠١م)، ط١، الجيزة: دار هجر، ج٥، ص٢٧٨-٢٧٩، بتصرف

(٢) أبو السعود، تفسير أبو السعود، (١٩٧١م)، د.ط، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ج٢، ص١٧.

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ج٣، ص١١٨

(٤) انظر: أبو حيان، (١٩٩٣م)، مُحَمَّد بن يوسف الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ج٣، ص٢٦٤.

قوله تعالى: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ ﴾ (١)

هذه الآية جاءت في سياق خطاب الله -سبحانه وتعالى- لموسى -عليه السلام- وتكليفه بالرسالة، حيث أبصر -عليه السلام- نارا، فتبعها علّه يهتدي بها إلى الطريق، أو يحصل منها على شعلة للدفء، فكانت المفاجئة والموقف المهيب العظيم، موسى -عليه السلام- في حضرة ربه يناجيه ويسمعه، فأخبره -جلت عظمته- أنه بمكان مقدس اختاره سبحانه لتكليمه، وأنه المستحق للعبادة وحده دون سواه، وأنه منزَّه عن الشريك والمثيل؛ ليحدث في قلبه القوة والأُنس، وذكر اسمي الله تعالى "العزيز الحكيم" في فاصلة الآية مناسب وممهد لما أراد الله -تعالى- إظهاره على يد موسى -عليه السلام- من المعجزات التي يعزُّ بها رسوله، ويذلُّ بها عدوه ويدمغه بها، وأن هذه الآيات جاءت لغاية جليلة وهي تأييد موسى -عليه السلام- بما يدل على صدق رسالته، وليست الغاية التلاعب بالناس وابتزاز أموالهم كما يفعل السحرة، وهذا ما لا توافقه الحكمة ولا ترتضيها.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤٢ ﴾ (٢):

لو تأملنا سياق الآية التي قبلها نجد أنها ضربت أعظم مثال لوهن المعبودات من دون الله -تعالى-، والتي تعبد رجاء نصرها، وقد ضرب لها المثل ببيت العنكبوت؛ لأنها واهية وهن ذلك البيت، وإنما كانت مصيدة لهم، وفي دخولها هلاكهم في الدنيا والآخرة، ولقد حقَّر ﷻ الأصنام وأهانها غاية التحقير والإهانة، ومع ذلك لم تستطع الانتصار لنفسها منه، لأنه العزيز الذي يغلب ولا يُغلَب، وهو الناصر المعزُّ لأوليائه وعابديه، وبهذا الاسم تعريض بمن يعبد مع الله تعالىَ غيره، إذ تورثه هذه العبادة الذل والمهانة، وناسب ذكر اسم الله تعالى "الحكيم"؛ لأن الله تعالى بحكمته بيَّن حقيقة آلهتهم هذه، وأبطل عقائدهم الباطلة، كما أن عابد غير الله

(١) سورة النمل، آية٩.

(٢) سورة العنكبوت، آية٤٢.

تعالى يكون مجانبا للحكمة، ولا يخفى ما في اجتماع هذين الاسمين من التلويح بالوعد والوعيد، الوعيد لمن يشرك مع الله تعالى غيره، والوعد الحسنِ لمن أخلص ولائه لله وحده.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[1]:

أثبت الله سبحانه تعالى في الآية التي سبقت: أن له ما في السماوات وما في الأرض، وحتى لا يظن ظانٌّ أن ملكه منحصر بذلك، أردف في هذه الآية بأن له ما لا يحيطه العدُّ ولا يحصره الحدُّ، (وذكر العدد في الآية لا يراد به الحصر، فذلك مما لا تصله الأذهان والأفهام، وإنما أريد به تعظيم كلمات الله تعالى جل وعلا)[2]. إن استمرار أوامر الله تعالى الكونية، والشرعية دلالة على نفوذ كلماته واستمرارها وما ذلك إلا دليل لعزته، ولما كانت كلماته –جل وعلا– كلها صدق وعدل، سواء في كونه أو شرعه، ومبنية على المصلحة التامة ناسب ذلك ذكر حكمته، وجاءت الفاصلة بهذين الاسمين الكريمين كالتعليل لما سبقها.

قال تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[3]

افتتحت هذه السورة بذكر عزة الله تعالى وحكمته، وختمت بالحمد له لا لسواه، فهو المستحق للحمد لاتصافه بصفات العظمة والجلال، لذلك كرر لفظ (رب) تنويها بشأن ربوبيته والتي أدى حقها أهل السماء، بينما انقسم أهل الأرض تجاهها فريقين، فريقًا هدى وفريقًا حقَّ عليهم الضلالة؛ فثبت عليهم وصف الإباق، وكانوا لعذابه أهل استحقاق، وناسب أن تُختم الآية بذكر صفة الكبرياء لله ﷻ؛ ذلك أن الكبرياء لدى بعض البشر هو ما كان حائلًا بينهم وبين الهداية وقبول شرائع القرآن، وفي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: ((**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن**

(١) سورة لقمان، آية٢٧.

(٢) انظر: الرازي، التفسير الكبير، (١٩٩٥م)، د.ط، بيروت: دار الفكر، ج٢٥، ص١٨٥، بتصرف.

(٣) سورة الجاثية، آية٣٧.

نازعني واحدا منهما قذفته في النار))[١]، وفي رواية: قصمته، وفي رواية: عذبته. ولأن كبرياء هؤلاء البشر يفتقر للعزة والحكمة، كان ختم الآية بقوله "العزيز الحكيم" أبلغ ما يجمل معاني السورة، ويعطف النهاية على البداية، وتأتي هذه الفاصلة كالتعليل للسورة بكاملها؛ فبعزته يتصرف في الأمور كما شاء لأنه الغالب على كل شيء، وبحكمته يفعل ما فيه المصلحة بغاية الإتقان.

الخلاصة:

- إن مناسبة اسمي الله "العزيز الحكيم" في سياق التسبيح باتت واضحة جليَّة كما سبق، فقد يكون في سياق الآية أمر لا يقوى عليه إلا العزيز، فييمَّه على الوجه الأكمل، ويقمع المعاندين، ويعجزهم، فيتفرد سبحانه بالغلبة، وقد يكون لفعله سبحانه وجه حكمة وكيفيَّة يتم بها الأمر على أحسن الوجوه ظاهرة للبعض وخفية على البعض.

- إن مناسبة اسمي الله "العزيز الحكيم" في سياق عظمة الله سبحانه تجلت في الآيات السابقة، فقد تكون الفاصلة بهذين الاسمين الكريمين لتقرير معنى الآية، أو لتعليل مضمونها، أو للتنزيه عن توهم النقص والعيب، أو لجمع معاني الترهيب والترغيب، وقد ناسب السياق ذكر "العزيز الحكيم" على غيرهما من الأسماء المقترنة، وتَقَدُّم العزيز على الحكيم في جميع الآيات؛ لاقتضاء المقام.

المبحث الثالث

تعلق اسم الله تعالى "العزيز" واسمه "الحكيم" في سياق الدعاء والرحمة

(١) رواه مسلم (٢٦٢٠)، مسلم بن الحجاج النيسابوري، (د.ت)، صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، ج٤، ص٢٠٢٣، د.ط، يروت: دار إحياء التراث العربي.

سياق الدعاء:

الدعاء هو: (توجُّه العبد سائلًا مولاه، قاصدًا إيَّاه في جلب منفعة، أو دفع مضرة، في أيِ أمر من أمور الدنيا والآخرة، وفيه معنى الثناء على الله وتمجيده بما هو أهل له، وإظهار الذُّل إليه والفقر بين يديه)[١]، وقد ورد اسما الله تعالى " العزيز الحكيم" مقترنين في هذا السياق في خمس آيات، وحين يدعو العبد ربَّه بهذين الاسمين الجليلين فإنه يستشعر بعزته قدرته على إجابة دعوته، ويفوض الأمر لحكمته أن يختار له الأصلح، وتفصيل ذلك:

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾[٢]:

جاءت هذه الآية في سياق رفع قواعد البيت، وكأنّي بهما في هذا الحدث التاريخي العظيم، فهذا أول بيت يوحَّد فيه الله تعالى، نجدهما يُجدَّان في الدعاء بخشوع، فيبدآن أولًا: بالدعاء لنفسيهما خاصة بقبول العمل، ثم الدعاء ثانيا: لهما وللذرية بالهداية، وتعلم مناسك العبادة مشاهدة، والتوبة عليهم من كل تقصير، ثم الدعاء ثالثا: للذرية خاصة أن يبعث الله ﷻ فيهم رسولًا، وأن يكون منهم، ولفظُ البعث يوحي بأنهم في ضلالهم كأنهم موتى، وكون النبي المبعوث منهم؛ ليكون أرفق بهم وأعلم بشؤونهم، قال ابن عاشور -رحمه الله-: (وجاء ترتيب الجمل في الذكر تبعا لترتيبها في الوجود، فإن أول تبليغ الرسالة تلاوة الكتاب، ثم يتبعها تعليم معانيه وبيان أحكامه، ثم يلي ذلك التزكية الناشئة عن العلم المتمثلة في طهارة الباطن ونقائه، واستقامة الظاهر على العمل بهدي القرآن)[٣]. وقد استجاب الله دعاؤه، ((وفي حديث أبي أمامة الباهلي عن النبي ﷺ قال: قلت: يا نبي الله، ما كان أول بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منها

(١) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١٣٧٩هـ)، بيروت: دار المعرفة، ج١١، ص٩٤، بتصرف.

(٢) سورة البقرة، آية١٢٩.

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ج١، ص٧٢٣، بتصرف.

قصور الشام))[١]، ولما كانت بعثة الرسل إلى أممهم تتطلب قوة وغلبة في أنْ يَمضي أمره، ويمكّن لرسله بالآيات ناسب ذلك ذكر اسم الله تعالى "العزيز"، وتعليم الناس الكتاب والحكمة وتطهيرهم من الشرك والأخلاق الرذيلة يتطلب الحكمة، ناسب ذلك ذكر اسم الله تعالى "الحكيم"، قال الزركشي –رحمه الله– : "ووجه مناسبته أن بعث الرسول تولية، والتولية لا تكون إلا من عزيز غالب على ما يريد، وتعليم الرسول الحكمة لقومه إنما يكون مستنداً إلى حكمة مرسلة؛ لأن الرسول واسطة بين المرسل والمرسَل إليه فلا بد أن يكون حكيماً فلا جرم أن اقترانهما كان مناسبا"[٢]. كما أن في ذكَر "العزيز" إشعارا بقدرة الله تعالى على تحقيق المطلوب، وذكَر "الحكيم" تفاؤلًا بتحقيقه. فكان حق الفاصلة بهذين الاسمين كما ذكر الزركشي؛ "لتمكين المعنى المسوق إليه"[٣]، بينما يرى أبو السعود أنها؛ " لتعليل الدعاء وإجابة المسؤول"[٤].

قال تعالى:﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[٥]:

تأتي هذه الآية من سورة المائدة في سياق موقف مهيب يتحدث عن أمر جلل يقع يوم القيامة، حيث يجمع الله تعالى صفوة خلقه ويسألُهم عن إجابة أقوامهم لدعوتهم؛ ليقيم عليهم الحجَّة، ويَخصُّ في ذلك الموقف عيسى ابن مريم –عليه السلام– بسؤال يقيم به الحجة على من اتخذه وأمه إلهين من دون الله، فيسأله سبحانه: أأنت من أمرتهم بذلك؟ وهنا تتجلى براعة سيدنا عيسى –عليه السلام– في إجابته لربه مراعيا قمة التأدب والتواضع لعزته،

(١) أحمد ابن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، (٢٠٠١م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط١، باقي مسند الأنصار، ج٣٦، ص٤٥١، دم: مؤسسة الرسالة.

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، د.ط، ج١، ص٨٩.

(٣) المرجع نفسه

(٤) أبو السعود، تفسير أبو السعود، د. ط، ج١، ص١٦٢.

(٥) سورة المائدة، آية١١٨.

والانكسار بين يدي عظمته، ويتبرأ -عليه السلام- من تلك الفرية، ويفوض الأمر لله تفويضا مطلقا فيقول: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾، يقول الزمخشري: "لِلخالق أن يتصرف في عباده كيف يشاء، وإذا قضى أن يعاقب المسيء، ويثيب المحسن فذلك حكمه وقضاؤه، ولا يملك أحد أن يلزمه به"(١)، فاختياره -عليه السلام- للفظ العبودية هو خير ما يناسب المقام، ثم يقول: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(٢)، وقد ظن البعض أن المناسب للسياق هو ختم الآية ب"الغفور الرحيم" ويُجاب عليهم بأحد تعليلين:

- الأول: لو كانت الفاصلة ب"الغفور الرحيم"؛ (لكان ذلك تعريضا بطلب المغفرة، ولم يقصد ذلك -عليه السلام-، وإنما قصد التبرؤ والتنصل من حالهم)(٣).
- الثاني: أن هذه الفاصلة من باب الاحتراس؛ لأن العفو عن مستحق العذاب قد يكون عن ضعف وعجز، أو عن سوء تدبير وتقدير، أو كليهما، فجاءت الفاصلة تدفع كل ذلك وتقول: إنه إن عفا وغفر فإنه عن كمال في عزته وقدرته وغاية حكمته(٤). ومن عجب التعبير القرآني: أنه حمَّال وجوه، وكل وجه منها يستنبط منه كمالات في صفاته سبحانه لا تستنبط من الوجوه الأخرى، فسبحان من حارت في جلاله العقول.

قال تعالى: ﴿ * فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾(٥):

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمود جار الله، (١٤٠٧هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ج١، ص٦٩٦.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ج٧، ص١١٧.

(٣) انظر: الغرناطي، أحمد بن إبراهيم، (د.ت)، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، د.ط، يروت: دار الكتب العلمية، ج١، ص١٣٨.

(٤) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، د.ط، ج١، ص٨٩-٩٠.

(٥) سورة العنكبوت، آية٢٦.

هذه الآية وردت في سياق دعوة إبراهيم عليه السلام لقومه، ومع إصرارهم وعنادهم، قرر سيدنا إبراهيم ترك وطنه "العراق" وقومه، ووالده وأهل بيته، مهاجرا إلى الله قاصدا في هجرته الأرض المباركة في الشام، وهكذا هي هجرة الأنبياء وأتباعهم، فإنها تكون في سبيل الله لنصرة دعوته، وحين نتدبر حاله -عليه السلام- حال هجرته، نجده قد فرَّ من قوم مشركين عزموا على قتله، وبيئة لم تنبت بها دعوته، ولاذ بالعزيز القادر على أن ينجيه من كيدهم بعزته، وأن يجعل تحقيق المصلحة بهذه الهجرة بحكمته، قال أبو السعود -رحمه الله-: "العزيز: أي: الغالب على أمره فيمنعني من أعدائي. والحكيم: الذي لا يفعل فعلًا إلا وفيه حكمة ومصلحة فلا يأمرني إلا بما فيه صلاحي"[(١)]، وتأتي هذه الفاصلة كالتعليل للمضمون؛ لأن من كان عزيزا عزَّ جاره.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾[(٢)]:

في هذه الآية نجد أن الله ﷻ يقيّض أشرف خلقه للدعاء بظهر الغيب للمؤمنين، ويظهر هذا الدعاء شدة محبة الملائكة للمؤمنين، حيث ترتقي في الدعاء لهم من سؤال المغفرة والوقاية من العذاب، إلى سؤال الجنة واستنجاز ما وعدهم الله به على ألسنة أنبيائهم، ويضيفون للدعاء بعدا آخر، حيث يسألون لهم الصُّحبة والمشاركة مع من صلح من الآباء والأزواج والذريات؛ ليكونوا معهم إن قصرت بهم أعمالهم، فيتمُّ سرورهم ويكمل ابتهاجهم، فأيُّ حبٍ هذا؟! وأي نصح للعباد مثل هذا إلا نصح الأنبياء، قال بعض التابعين: "وجدنا الملائكة أنصح خلق الله لعباده، ووجدنا الشياطين أغش الخلق لعباده"[(٣)]، (وقد ذكر ابن

(١) أبو السعود، تفسير أبو السعود، د.ط، ج٧، ص٣٧.

(٢) سورة غافر، آية٨.

(٣) ابن قيم الجوزية، (د.ت)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ج١، ص٦٣.

القيم –رحمه الله– أن من عقوبات المعاصي حرمان دعوة الرسول ﷺ ودعوة الملائكة؛ فإن الله سبحانه أمر نبيه ﷺ أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، وهذا دعاء الملائكة للمؤمنين المتبعين لكتابه وسنة نبيه ﷺ [(١)]، وإذا علمنا أن العزة هي كمال القدرة، والحكمة كمال العلم، وأنه سبحانه يقضي بهتين الصفتين، ويثيب ويعاقب؛ نجد مناسبة جلية في ختم دعاء الملائكة بهذين الاسمين الكريمين؛ فالعزيز: يناسب مقام عزته وكمال قدرته، "والحكيم :احتراس حسن؛ لأنه قد يخفى وجه الحكمة على بعض الضعفاء في بعض الأفعال فيتوهم أنه خارج عنها وليس كذلك"[(٢)]. وتأتي الفاصلة ب"العزيز الحكيم" مناسبة للمقام؛ ذلك أن المقام مقام التجاء وتضرع؛ لإظهار سطوته تعالى وقوته وحكمته في كل ما يريد، وتكون كالتعليل لمضمون الآية.

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾[(٣)]:

تقرر هذه السورة قاعدة الولاء والبراء –الولاء لله ورسوله والمؤمنين، والبراء من الشرك وأهله ولو كانوا أقرب المقربين– وهي تضرب المثل بنبي الله إبراهيم –عليه السلام– والذين آمنوا معه، وترغّب المؤمنين بالتأسي بهم؛ حيث حرروا ولاءهم لله تعالى، وأعلنوا براءة حاسمة من قومهم المخالفين لهم في عقيدتهم ودينهم، وتتميما للبراءة، نجد دعاء المؤمنين في هذه الآية قائلين: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، أي: لا تسلط علينا كفار مكة، فيظنوا إن خذلتنا ونصرتهم أنهم على حق، ونحن على باطل فيزدادوا بذلك جرأة علينا، ثم سألوا الله المغفرة، وختمت الآية باسمي الله تعالى "العزيز الحكيم" وقد عدَّ السيوطي هذه الفاصلة أيضا من

(١) انظر: ابن قيم الجوزية، (١٩٧٩م)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي "الداء والدواء"، ط١، المغرب: دار المعرفة، ج١، ص٤٠.

(٢) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين، (١٣٦٨هـ)، الإتقان في علوم القرآن، د.ط، القاهرة: دار الفكر، ج٣، ص٣٥٢.

(٣) سورة الممتحنة، آية٥.

المشكلات؛ لأن السياق يوهم أن الختم سيكون ب"الغفور الرحيم"[(١)]، وإذا تدبرنا سياق الآية نجد أن جوهر الآية هو مطلبهم ألا يجعلهم الله فتنة للكافرين، ونعلم قطعا أنه لا يقدر عليه إلا العزيز الغالب، الذي لا يُمانَع، والذي يحمي أهل ولايته ويعزُّهم، فإن استجاب دعاءهم فذاك، وإن ادخره لهم، وأراد ابتلائهم واختبارهم بالمحن، فإنه يكون لحكمة أرادها سبحانه، أما الدعاء بالمغفرة فلم يكن مقصودا أصالة من الدعاء وإنما جاء تبعا فلم يعقّب بما يدل عليه، كما أن التعقيب ب"العزيز الحكيم" يصحُّ عند سؤال المغفرة؛ لأن الذي يقدر عليها ولا يعجز عنها هو "العزيز"، ومن لا يغفر إلا حسب مقتضيات مشيئته وحكمته هو "الحكيم"، وفي جملة الفاصلة "العزيز الحكيم" تلميح بالتفويض الكامل من قبل المؤمنين، والتسليم المطلق لله رب العالمين وهي كالتعليل لكل ما سبق من الدعاء.

سياق الرحمة:

تَجلَّت رحمة الله تعالى في كتابه في وجوه شتى ومن تلك الوجوه: إرسال الرسل بلسان قومهم لتقوم بهم الحجة، وإرسال مُحَمَّد ﷺ للعرب والعجم، ورحمته التي يدخل بها المؤمنون الجنة، وإرسالُ رحماته بشتى صورها، وقد ورد اسما الله "العزيز الحكيم" مقترنين في سياق رحمته في خمس آيات، نبينها كما يأتي:

قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥﴾[(٢)]

تأتي هذه الآية في سياق الامتنان من المنان –جل شأنه– على عباده بإرسال الرسل، وهم رحمة الله للعالمين، ثم بيَّن ﷻ أن مهمة هؤلاء الرسل هي البشارة والنذارة؛ البشارة للمؤمنين بالثواب والنعيم، والنذارة للكافرين بالعقاب والجحيم، ومن لطافة التعبير القرآني أنه

(١) انظر: السيوطي، المرجع السابق، ج٢، ص٢٧٥.
(٢) سورة النساء، آية١٦٥.

قَدَّم البشارة على النذارة؛ ترغيبا بها وحثًّا عليها، ولفتة للدعاة بسلوك سبيل البشارة أولًا؛ حتى تكون هداية الناس بالقناعة، ثم بيَّن الحكمة من الإرسال؛ وهي حتى لا يكون للناس عذر عند الله تعالى[(١)]، وختمت الآية بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، وقد ذكر الله تعالى في الآيات السابقة مسألة الإيحاء للرسل، وتبليغهم الرسالة، وتأييدهم بالكتب، وتكليم بعضهم، كل ذلك بحاجة لقدرة بالغة، فناسب ذكر اسم الله تعالى "العزيز"، وفيه أيضا إشارة لعزته في عقاب من خالف أمره، وثوابه لمن لزم من المؤمنين أمره وشرعه، وأما اسمه "الحكيم" فإن كل ما تقدم من الأخبار هو دليل حكمته، وهو ألا يحاسبهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم؛ فكان "عزيزا" في عقاب الكفار، "حكيما" في الإعذار بعد الإنذار[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[(٣)]:

تأتي هذه الآية في سياق الحديث عن العلاقة بين المنافقين، مقابل العلاقة بين المؤمنين، من حيث الولاء بين أفراد كل طائفة، وأن رابطة الإيمان والطاعة لله ورسوله هي الرابطة التي لا تخذل من ارتبط بها دنيا وآخرة، وهي مؤيدة بعزة الله جل قدره، وقوله في المنافقين: ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾؛ إذ لا ولايةَ بين المنافقين، وفي المؤمنين: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، دلالة على أنهم غير مقلدين في أصل إيمانهم ولا موافقين لبعض عن هوى، بل كلهم متبعون لرسول الله ﷺ بالدليل القطعي على حسب أفهامهم، وذلك دليل على صحة إيمانهم ورسوخهم في

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي الأحكام، ط١، ج٧، ص٦٩٢.

(٢) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ط١، ج٤، ص١٤٠.

(٣) سورة التوبة، آية٧١.

تسليمهم وإذعانهم[١]، وبعد أن ذكر الدليل القاطع على صحة إيمانهم، أتبعه بذكر عباداتهم، وخص بالذكر أمهات العبادات، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة – تنويها بأن الصلاة هي أعظم المعروف–، وإيتاء الزكاة، وبعد ذكر مكارم أفعالهم، أتبع كل ذلك بذكر حسن مآلهم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾؛ أي سيبعدهم عن عذابه ويدخلهم جنته، يقول ابن عاشور: "والسين لتأكيد حصول الرحمة في المستقبل"[٢]، وختمت بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾، وهذه الآية عدَّها السيوطي من مشكلات الفواصل[٣]، ووجه الإشكال عنده أن جملة "أولئك سيرحمهم الله" توهم أن السياق سيختم ب(الغفور الرحيم) أو (الرؤوف الرحيم) أو غيرها من الأسماء التي تدل على الرحمة، ويُجاب عليه ب: أن الله ﷻ قد توعد المنافقين والكفار بالعذاب، ووعد المؤمنين بالرحمة، فكانت الفاصلة بالعزيز هي بمثابة التعليل لذلك؛ أي: لأنه العزيز الذي لا يفوته هارب ولا يغلبه غالب، فهو صاحب القدرة الكاملة على إنجاز وعده ووعيده، فناسب ذكر العزيز في الفاصلة في هذا المقام، كما أنه سبحانه لا يضع وعده ووعيده إلا في مكانه اللائق به، فناسب ذلك ذكر اسمه "الحكيم" في الفاصلة، ولو كانت جملة الفاصلة تعليلًا لوعده فقط لناسب ذلك أن تُختم ب(الغفور الرحيم)، ومن يمعن النظر في الآية يجد أن الفاصلة ب(العزيز الحكيم) فيها من الدقة والإعجاز ما لا تحققه غيرها من الأسماء الحسنى؛ لأن الله ﷻ قرر أنه سيرحم المؤمنين، فالسين كما تقدم تفيد وجوب الرحمة، فما وجه إعادة تأكيد الرحمة ب(الغفور الرحيم)؟! فتبين عند ذلك جمال هذه الفاصلة ودقة إعجازها.

(١) انظر: البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، (١٩٩٥م)، نظم الدرر، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ج٨، ص٥٤٣.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ج١٠، ص٥٥٦.

(٣) انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، د.ط، ج٢، ص٢٧٥.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾[(١)]:

جاءت هذه الآية في سياق امتنان الله ﷻ بإنزال الكتاب على مُحَمَّد ﷺ؛ ليخرج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد "بإذن ربهم"، وقد نزل هذا القرآن بلسان عربي مبين، بخلاف الكتب السابقة التي نزلت أعجمية، وكان بعض المتهودين والمتنصرين العرب يترجمونها للعربية، قال ابن عاشور رحمه الله: "فاستقر في نفوس المشركين من جملة مطاعنهم أن القرآن لو كان من عند الله لكان باللغة التي جاءت بها الكتب السابقة، فصارت عربيته عندهم من وجوه الطعن في أنه منزل من عند الله"[(٢)]. وجاء في سبب نزول الآية: "أن قريشا قالوا: ما بال الكتب كلها أعجمية وهذا عربي فنزلت"[(٣)]، وقد بيَّنت هذه الآية أن نزول القرآن بلسان عربي متسق مع السنن الماضية، وهي إرسال الرسول بلسان قومه؛ لتقوم الحجة ويتحقق البيان، وأما أمر الهداية والضلال فليست من شأنهم في شيء؛ لأنها بيد الله –سبحانه–، وهي راجعة إلى عزته وحكمته، بل هي رهن مشيئته، (وهذا محقق لما سلف من تقييد الإخراج من الظلمات إلى النور بإذن الله تعالى)[(٤)]، وتتضح روعة التعبير القرآني حيث قدم الضلال وأخر الهداية؛ لتنقطع حتمية الصلة بين بيان الرسول وثمرته، فلا يظن أحد أن الهداية نتيجة حتمية للبيان، وتلك قضية عقدية، حيث قضت مشيئة الله أن يكون تأثير السبب بالمسبب بمشيئته؛ لأنه "عزيز: لا يغالب في مشيئته، حكيم: لا يفعل شيئا من الإضلال والهداية إلا لحكمة بالغة"[(٥)]، وفي ظلِ هذين الاسمين الجليلين تقرير لمضمون الآية.

(١) سورة إبراهيم، آية٤.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ج١٣، ص١٨٦.

(٣) أبو حيان، البحر المحيط، ط١، ج٦، ص٤٠٨.

(٤) أبو السعود، تفسير أبو السعود، د.ط، ج٥، ص٣٣.

(٥) المرجع السابق، ج٥، ص١٨٨.

قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ ﴾(١):

قال الطبري -رحمه الله-: "مفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده؛ فما يفتح الله للناس من خير فلا مغلق له، ولا ممسك عنهم؛ لأن ذلك أمره لا يستطيع أمره أحد، وكذلك ما يغلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم ولا يفتحه لهم، فلا فاتح له سواه؛ لأن الأمور كلها إليه وله"(٢)، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، أي: القادر على الإمساك والإرسال، والذي يمسك ويرسل وفق ما تقتضيه حكمته(٣)، ومن روعة البيان القرآني أنه جل اسمه قَيَّدَ الإرسال بالرحمة؛ للدلالة على أن رحمته وسعت كل شيء، ولم يقيد الإمساك، وإنما أطلقه؛ للدلالة على أن ما يمسكه إنما هو لحكمة وتقدير قد تغِيب عن عقولنا القاصرة، وإذا استقرت هذه الآية في القلب انقطع عن جميع الأسباب، وتعلق بمسببها، فيقرع العبد كل باب شأنه أن يوصله بخالقه، فهو العزيز في نقمته ممن انتقم منه من خلقه بحبس رحمته عنه، وحكيم في تدبير خلقه، وفتحه لهم الرحمة إذا كان في فتحها صلاح، وإمساكها عنهم إذا كان في إمساكها حكمة، فكانت الفاصلة كالعلة لمضمون الآية.

قال تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣﴾(٤):

((عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: (كنا جلوسا عند النبي ﷺ فنزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟ قال: فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سَأَلَهُ مرة أو مرتين أو ثلاثاً، قال: وفينا سلمان الفارسيُّ، فوضع النبيُّ ﷺ يده

(١) سورة فاطر، آية٢.
(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي الأحكام، ط١، ج١٩، ص٣٢٨.
(٣) أبو حيان، البحر المحيط، ط١، ج١٩، ص١٣.
(٤) سورة الجمعة، آية٣.

على سلمان فقال: (لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلاءِ)[١]، عن مجاهد قال: من ردف الإسلام من الناس كلهم، وقالَ ابن زيد: هؤلاَء كلُّ من كانَ بعد النبيِ صلَّى الله عَلَيْه وسلَّم إلى يوم القيامة، كلُّ من دخل في الإسلام من العرب والعجم[٢]، ولقد بعِثَ النبي ﷺ في أُمَّة أُميَّة، لم تألف حضارة، ولم تعرف المدنية، ولم تهذب طباعها، وقد ينقدح في ذهن البعض: أَنَّى يزكّى هؤلاء؟! فتزكيتهم أمر عسير يحتاج لقدرة كاملة وحكمة بالغة، فكان مناسبا أن تُختم الآية بهذين الاسمين، إشارة إلى أن الذي زكّى هؤلاء ونقلهم من قاع الهمجية إلى قمة الرقي والحضارة هو "العزيز الحكيم"، كما أن إشارة الآية إلى أن بعثة مُحَمَّد ﷺ للعرب وللعجم فيه دلالة على أن هذا الدين سينتشر في أصقاع الأرض وهذا قد يثير التعجيب، إذ كيف يغلب هذا الدين وينتشر في الأرجاء؟! فكانت الفاصلة كالجواب: لأنه عزيز حكيم.

الخلاصة:

- ترى الباحثة أن الفاصلة ب"العزيز الحكيم" في سياق الدعاء غاية في الدقة والإعجاز، ولا يصلح غيرها مكانها، وإن بدا ذلك لمن فاته حظٌّ من التدبر، وقد اتضحت مناسبتها في الآيات السابقة، فقد تكون الفاصلة بهذين الاسمين الكريمين لتمكين المعنى المسوق إليه، أو من باب الاحتراس ودفع التوهم، أو لإظهار سطوة الله وقوته في مقام التضرع.

- وأن الفاصلة ب" العزيز الحكيم" في سياق آيات الرحمة مناسبة لفاصلتها مستقرة في مكانها، فقد تكون الفاصلة بهذين الاسمين الكريمين لتقرير مضمون

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير: أبو عبد الله الجعفي، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، ط١، دم: دار طوق، باب قوله {وآخرين منهم لما يلحقوا بهم}، ج٦، ص١٥١، رقم (٤٨٩٧).

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي الأحكام، ط١، ج١٠، ص٨٠٢٩.

الآية، أو لتعليل الوعد والوعيد، أو أن سياق الآية يثير تساؤلًا تكونُ الفاصلة كالجواب له.

المبحث الرابع

تعلق اسم الله تعالى "العزيز" واسمه "الحكيم" في سياق قدرة الله

إن الناظر في بديع خلق الله تعالى، يدركُ أنه -سبحانه- المتفرد بالخلق، وما سواه مخلوق عاجز، فمظاهر قدرة الله في الكون وخلق الإنسان، تجعل البصر ينقلب خاسئا وهو حسير، أمام كون هو غايةٌ في الإ تقان لا تفاوت فيه ولا فطور، والتأمل في آيات القدرة يورث في القلب تعظيم الله -سبحانه- وتقديره حق قدره، وقد وردت خمس آيات في هذا السياق اقترن بفاصلتها اسما الله -تعالى- "العزيز الحكيم"، نبينها كما يأتي:

قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾[1] :

من محاور سورة البقرة الأساسية محور قضية البعث، وسوق الأدلة العقلية والعينية على هذه القضية، ومن البراهين العينية التي ساقها الله ﷻ لإثبات قدرته على البعث، قصة خليل الله ابراهيم -عليه السلام- مع النمرود، وقصة الرجل الذي أحياه الله بعد أن أماته مئة عام، ثم قصة الخليل -عليه السلام- وطلبه من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، ولم يكن طلبه -عليه السلام- لذلك شكًا منه، وإنما أراد أن يطمئن قلبه ويصل إلى درجة عين اليقين، وهنا تتجلى قدرة الله ﷻ وعزته، والمتدبر للآية الكريمة يجد أن الله ﷻ قد خرق نواميس الكون فيها ليس فقط في إحياء هذه الطيور بعد موتها، بل وأيضا بجعلها تأتي بأمر إبراهيم -عليه السلام- ساعية على أرجلها، وفي كل ذلك دلائل لعزته مع قدرته، إذ كان قادرا أن يحييها من غير دعوة إبراهيم، وأن يجعلها تأتي على عرف أمرها طيرا، ولكنه أراد أن يكون ذلك آية خارقة لكل منكرٍ للبعث، فكان ختمها ب"العزيز" كالتلويح بالتهديد لمن شاهد هذه الآيات واستمر على عناده في إنكار البعث، إذ من لوازم عزته إيصال العذاب لمن استحقه،

(١) سورة البقرة، آية٢٦٠.

فكانت الفاصلة ب"العزيز الحكيم" إشارة إلى لزوم أثرهما وهو العقاب، مع عدم توقع زوال هذا الأثر إلا بزوال سببه، وهو ضرب من الإيجاز والإعجاز في القرآن الكريم.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦﴾ (١):

تأتي هذه الآية في مطلع سورة آل عمران، وقد نزلت في وفد نجران -كما أورد المفسرون- ومجادلتهم للنبي ﷺ في شأن عيسى ابن مريم -عليه السلام-، حيث زعموا أنه إله، وابن إله، إلى غير ذلك من الباطل، وقد فَنَّد الرسول ﷺ باطلهم حيث قال: "فَإِنَّ رَبَّنَا صَوَّرَ عِيسَى فِي الرَّحِمِ كَيفَ شاء، ورَبُّنَا لَا يَأْكُلِ ولَا يشْرَبُ ولَا يُحْدِثُ. قَالُوا: بلَى، قالَ: أَلَستم تَعلَمونَ أَنَّ عَيسَى حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كما تَحْمِلُ الْمرأَةُ، ثُمَّ وضَعَتْه كما تَضعُ الْمرأَةُ ولَدَها، ثُمَّ غُذِّيَ كَما يغَذَّى الصَّبِيُّ، ثُمَّ كَانَ يطْعَمُ ويشْرَبُ ويُحدثُ؟ قالوا: بلَى، قَالَ: فَكَيْفَ يكُونُ هذَا كَمَا زعمتم؟ فَسكَتوا" (٢)، قال الرازي -رحمه الله-: ثم أعاد كلمة التوحيد زجرا للنصارى عن قولهم بالتثليث، فإن قدرة عيسى -عليه السلام- على الإحياء والإماتة ببعض صورها، وعلمه ببعض الغيبيات، لا يكفي لأن يكون إلها، بل لا بد للإله أن يكون تامًّا في علمه وقدرته (٣)، وختم الآية بذكر عزته وحكمته ليشير إلى أنه -سبحانه- منقطع النظير في قوته وقدرته، كما أنه -سبحانه- يبدع بالتصوير ويتقنه على أحسن وجه، ويلمح الختم بهذين الاسمين إلى ملمح آخر، وهو التهديد والوعيد للذي يكفر بالله أو يدَّعي لهَ الشريك، وهو ادعاء اليهود والنصارى، وهذا ضرب من الإعجاز البديع في فواصل الآيات.

(١) سورة آل عمران، آية٦.

(٢) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد، (١٤١١هـ)، أسباب النزول، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ص١٠٠.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج٦، ص١٦٧، رواية رقم (٦٥٦٨)، ولم أقف عليه في كتب الحديث.

(٤) انظر: الرازي، التفسير الكبير، د.ط، ج٧، ص١٤٥،١٤٣، بتصرف.

قال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨﴾ [(١)]:

نزلت هذه الآية في معرض الرد على ادعاء اليهود قتل عيسى -عليه السلام-، فبيَّن الله ﷻ كذب ادعائهم، وأنه -سبحانه- رفعه إلى السماء، قال أبو حيان -رحمه الله-: "وهو حي في السماء الثانية على ما صح عن الرسول ﷺ في حديث المعراج، وهو هنالك مقيم حتى ينزله الله إلى الأرض لقتل الدجال، وليملأها عدلًا كما ملئت جورا، ويحيا فيها أربعين سنة ثم يموت كما تموت البشر" [(٢)]، ونظرا لشدة خطورة ادعائهم الذي أرادوا منه الطعن في قدرة الله على حماية رسله، بدأت الآية بقوله: "بل" التي تفيد دفع التوهم بأي شكل من أشكاله واستحالته؛ لأن تأييد الرسل وحمايتهم من قدرات الله تعالى المعهودة والباقية، ولذا ختمت بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ فرفعه بعزته وحفظه بحكمته، "لأنه لما عزَّ حقَّ له إعزاز أوليائه، ولما كان حكيما أتقن هذا الرفع فتنة للكافرين وتبصرة للمؤمنين، وعقوبة ليهوذا الخائن" [(٣)]. كما نَلمح بهذين الاسمين تضمينهما معنى الوعيد لمن أنكر ما تضمنته هذه الآية من حقيقة رفع عيسى عليه السلام، بخلاف ما لو اقتصر على ذكر ما يدل على القدرة، فقد يفوت هذا المعنى، وهذا من تمام الإعجاز.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾ [(٤)]:

هذه الآية جاءت في سياق الأدلة على وحدانية الله والتي تضمنتها سورة الروم، فبعد أن ذكر أن كل ما في الكون منقاد إليه خاضع له، أعقبه بذكر الأدلة على قدرته على بعث الموتى؛ لأن المشركين يؤمنون بقدرته -تعالى- على الخلق ابتداء، لكنهم ينكرون قدرته على

(٥) سورة النساء، آية١٥٨.

(٦) أبو حيان، البحر المحيط، ط١، ج٤، ص١٢٨.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ج٣، صص٢٤.

(٤) سورة الروم، آية٢٧.

الإعادة، فبيَّن ﷻ لهم، أن الإعادة أهون من الابتداء، وليس في قدرة الله تعالى ما هو هيِّن، وما هو أهون "فكله على الله هين"، وإنما خاطبهم بما تستوعبه عقولهم القاصرة الجاهلة، ثم نزَّه نفسه بأن له صفات الكمال المطلق؛ لأن كل صفة كمال اتصف بها المخلوق، فالخالق أحق أن يتصف بها، وكل صفة نقص تَنَزَّه المخلوق عنها فتنزيه الخالق من باب أولى، وختم بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ مشيرا إلى كمال قدرته على الخلق والإعادة، ولما كان خلقه الخلق ابتداء لحكمة بالغة وهي عبادته، وإعادتهم بالبعث لحكمة تتجلى في إظهار عدله بمجازاة كل بعمله، ناسب التعقيب باسمه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾، وجملة الفاصلة تحمل معنى التهديد لمن أنكر البعث، فهو سبحانه "عزيز" في عقابهم "حكيم" بأنه لا يُجازي إلا من استحق.

قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾[(١)]:

هذه الآية من سورة التغابن تأتي في سياق أمره -سبحانه وتعالى- لعباده بالتقوى والطاعة ما بلغ إليه جهدهم، والنفقة في سبيله، وقد أسماها الغني قرضا، وهذا ترغيب عظيم منه ﷻ للمؤمنين، إذ القرض مردود، وموعود بالمضاعفة، وزيادة أخرى أن يغفر لهم بذلك ذنوبهم، واشترط الحسن في القرض؛ أي: حلالًا من نفس طيبة به لا كارهة له، وهذا من باب النصح للمؤمنين لتضاعف لهم الأجور، ولما بيَّن الله سبحانه في هديه بالآية السابقة أنه يجازي عباده على الإنفاق بالمضاعفة في الأجر والمغفرة، فقد يقول قائل: إن هذه الأفعال تفتقر العلم والقدرة، فناسب ذكر العلم بهذه الآية بقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾، وختم فاصلتها بما يدل على قدرته: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، فالعزيز: هو الذي لا يعجزه شيء، والحكيم: هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير[(٢)]. كما نلمح بالفاصلة ملمح الترغيب والترهيب، فعالمُ الأفعال ظاهرها وباطنها لا يفوته الجزاء عليها بما رتَّب لها، ويلمح البقاعي في

(١) سورة التغابن، آية١٨.

(٢) انظر: الرازي، التفسير الكبير، د.ط، ج٣٠، ص٢٦، بتصرف.

هذه الفاصلة ملمحا آخر فيقول: (ولما كان الحليم قد يتهم في حلمه بأن ينسب إلى الجهل بالذنب أو بمقداره قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ فلم يبق إلا أن يتوهم أن تأخير العقوبة للعجز فقال: ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء، ولما كان ذلك قد يكون لأمر آخر لا يمدح عليه قال: ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ أي: أنه ما أخَّره إلا لحكمة بالغة تعجز الخلائق عن إدراكها)[1].

الخلاصة: ترى الباحثة أن الفاصلة ب" العزيز الحكيم" في سياق آيات القدرة تسير على نسق واحد لا تشذُّ عنه، فهي تقرر مضمون الآية؛ فتأتي للتلويح بالتهديد والوعيد، أو للترغيب والترهيب. وتَقَدُّم العزيز على الحكيم في جميع الآيات لاقتضاء المقام لذلك.

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر، د.ط، ص١٣٧.

المبحث الخامس: تعلق اسم الله "العزيز" واسمه "الحكيم" في سياق القتال:

وقع الاقتران بين الاسمين الكريمين "العزيز الحكيم" في سياق الجهاد في سبيل الله، وما يترتب عليه، في ثمان آيات جميعها مدنية؛ إذ إنه لم يفرض القتال إلا في المدينة، وتناولت الآيات الموضوع من حيثيات متعددة نبينها كما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ (١)،

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ (٢).

موضوع الآيتين هو امتنان الله ﷻ على المؤمنين بنصرهم يوم بدر، واختلف السياق الذي نزلت فيه الآيتان، فآية آل عمران نزلت في سياق الحديث عن غزوة أحد، وما أصاب المسلمين فيها من قَرحٍ، وما دبَّ إلى صفهم من الوهن لولا أن تداركتهم رحمة الله، ولما كان المطلوب منهم أن يفهموا ما وراء النصر والهزيمة من السنن الإلهية، وأن يوقنوا بأن النصر من عند الله وحده، عادت بهم الآيات إلى يوم بدر -لذلك النصر العظيم- لتربطهم بالله، فإمدادهم بالملائكة تقاتل في صفوفهم بشرى تَطمين القلوب، ومن وراء ذلك العزيز الحكيم، وجعل هاتين الصفتين صفتين لذاته.

وأما الآية من سور الأنفال فجاءت في سياق الحديث عن غزوة بدر وعتاب المؤمنين على كراهية الخروج للنفير وجدال النبي ﷺ في ذلك، وقد صوَّرت حقيقة الأمر من البداية، فجاءت البشرى للنبي ﷺ، ومن لم يتردد من المسلمين في ملاقاة العدو، وأراد -سبحانه- طمئنة قلوبهم الوجِلَة بنصر الملائكة، حيث لا تطمئن قلوبهم إلا بذلك، ثم نبَّههم ﷻ إلى

(١) سورة آل عمران، ١٢٦.

(٢) سورة الأنفال، آية١٠.

السنن الإلهية في النصر والهزيمة، وأنه –سبحانه– يُجري المعجزات متى وكيفما يشاء، فلا ينبغي للقلوب أن تتعلق بسواه، ولو بمعجزة هو أجراها[(١)]. وقد ناسب اسم الله "العزيز" في لأنه الغالب الذي لا يغلب، ينصر من شاء وكيفما شاء، فلا رادَّ لحكمه وقضاءه، فاسمه العزيز يوقع في القلب الهيبة لعظمته، كما أن الإمداد بالملائكة، وإجراء المعجزات مما يختص به العزيز دون سواه، فكان في غاية المناسبة لهذا السياق، وأما مناسبة اسمه "الحكيم" أن اختيار الله لهم "ذات الشوكة" والإمداد بالملائكة، هي قضية تقتضيها الحكمة، وتُمليها طبيعة المرحلة التي تمر بها هذه الدعوة في بدايتها، ليكون ذلك شدًّا لأزرهم، وتثبيتا لأقدامهم، وإشعارا بمعيَّيه ﷻ لهم، فوصف الحكيم (للإيذان بعلة جعل النصر بإنزال الملائكة، فإن ذلك من مقتضيات الحكم البالغة)[(٢)]، ولما كان المقام في سورة آل عمران مقام امتنان وإخبار من الله ﷻ بحادثة قد حدثت معهم من قبل وهي غزوة بدر، ختمت الآية بما يناسب مقام الإخبار، وهو وصف الذات سبحانه أنه "عزيز حكيم" دون مؤكدات، بينما نزلت آية الأنفال في سياق إظهار قدرة الله في تأييدهم بالمدد السماوي، وتقدم في الآيات السابقة ما يدل على تعدد الوعود من الله ﷻ، وورد فيها تصوير حالة الخوف والتردد من بعض المؤمنين؛ لأنهم لم يكونوا متأهبين لهذا اللقاء، وسوقُ الكلام مساق التعليل، ناسب أن تُختم بصيغة التأكيد، فختمت كل آية بما يناسب مقامها.

قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾[(٣)]:

(١) انظر: عبد الرزاق، مُحَمَّد السيد، (٢٠١٠م)، الإعجاز البلاغي في التقديم والتأخير، بحث علمي منشور في موقع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص٦.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ج٤، ص٧٨.

(٣) سورة الأنفال، آية٤٩.

وتأتي هذه الآية من نفس السورة وفي نفس السياق، حيث يأمر الله ﷻ المؤمنين بالثبات عند اللقاء، وبكثرة الذكر؛ فهو من عوامل النصر والفلاح، وينهاهم عن التشبه بالمشركين الذين خرجوا افتخارا ورياء وصدًّا عن سبيل الله، وأيضا نهاهم عن اتباع وساوس الشيطان، ثم شرعت الآيات بالتحذير من موقف طائفة أخرى من الأعداء وهم المنافقون، بالإرجاف والتثبيط من جهة، والاستهزاء والسخرية من جهة أخرى؛ لأنهم قَيَّموا الأمور استنادا لمعايير مادية بشرية اعتبروها ستحسم نتيجة المعركة وتفرز نتائجها، فتؤكد الفاصلة بأن المسلمين اعتمدوا على الله في نصرهم، ومن يتوكل على الله فإنه عزيز: لا يغلبه شيء، حكيم: يوصل العذاب إلى أعدائه، والرحمة والثواب إلى أوليائه[(١)]، فتأتي الفاصلة في هذين الاسمين الكريمين؛ ليقع في نفوس المؤمنين عظمة الله وجلاله وكبرياؤه، ويقع في قلوب المنافقين والذين في قلوبهم مرض، الخوف والرهبة من جلال المنتقم الجبار سبحانه، " كالعلة لخيبة ظنون المشركين ونصرائهم"[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[(٣)]:

هذه الآية جاءت في سياق بيان طريقة تعامل المسلمين مع الأعداء في حال الحرب وفي حال السلام، وعلى المسلمين أن يوافقوا على السلام في حال عرضه الكفار عليهم، وأن يفوضوا أمرهم لله في حال أضمر الكفار الخيانة؛ لأن حقيقة الضمائر لا يعلمها إلا الله، فعليهم أن يأخذوا بالظاهر، وإن حدثت منهم خيانة فالله -سبحانه- تكفل للنبي ﷺ أن يقيه شر الخائنين بعظمته، التي تجلت في تأليف قلوب المؤمنين -من الأوس والخزرج- بعد أن

(١) انظر: الرازي، التفسير الكبير، د.ط، ج١٥، ص١٤١-١٤٢، بتصرف
(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ج١٠، ص٣٨.
(٣) سورة الأنفال، آية٦٣.

كانت العداوة المستحكمة بينهم تفرقهم، فكانت قوَّته ﷺ مستمدة من نصر الله -سبحانه-، وتآلُف المؤمنين على قلب واحد، وناسب هذا المقام أن تُختم الآية بقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؛ فهو عزيز في حصول الخير العظيم من وراء هذا التآلف، فهي نعمة امتدت آثارها إلى وقتنا الحاضر وإلى قيام الساعة، واختلف المفسرون في سر هذه الفاصلة فمن قائل إنها تعليل لمضمون الآية وهو تأليف القلوب؛ لأنه لا يصدر إلا عمن كان كامل القدرة حكيما[(١)]، إلى قائل إنها تعليل لكفاية الله ﷻ لنبيه وتأييده، وأنه المناسب لمقام العزة والحكمة، إذ لو كان تعليلا للتأليف، لكان أنسب أن يعلل بقوله: "إنه رؤوف رحيم"، ولا ترى الباحثة مانعا من أن تكون الفاصلة تعليلاً للقضيتين، فنجمع بين الرأيين، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[(٢)]:

هذه الآية من سورة التوبة تأتي في سياق الحديث عن غزوة تبوك، وقد بيَّن الله لهم عِظَم أمر الجهاد، ولم يبق لهم ما يتعلَّلون به للتقاعس عنه؛ إذ أن حسنه لا يختص ببعض الأشهر دون بعض، فعاتبهم الله -سبحانه- في هذه الآية على تخلفهم عن النفير في غزوة تبوك، فقال على سبيل الاستعطاف والتذكير بنعمة الإيمان، إن تقاعستم عن نصره فقد نصره الله، عندما أُخرج من مكة ولم يكن معه من يمنعه و يحامي عنه إلا الله -تعالى-؛ ليعلمهم أنَّ نصر نبيِّه ليس متوقفت عليهم، فيضرَّه انقطاعهم وقعودهم، وإنما هو من قِبلِ الله -تعالى-، وقد نصَره ﷻ بإرشاده إلى الهجرة، وإمداده بالملائكة، ثم نقلت الآيات لنا مشهد الغار، لاستحضار الموقف وما أُحيطَ بهم من المخاطر التي أفزعت أبا بكر الصديق -رضي الله عنه-، والذي

(١) ذهب إلى ذلك ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ج١٠، ص٦٤.

(٢) سورة التوبة، آية٤٠.

نال شرف الكناية عنه في القرآن الكريم إلى يوم القيامة، وفي قوله: (لا تَحزنْ) تبشير لأبي بكر بالنصر، تخفيفًا وتسلية عنه، وفي نزول السكينة: قيل إنها على النبي ﷺ، وقيل على أبي بكر؛ (لأن الله قد أعلم نبيَّه بالنصر، وأيَّده سبحانه بالملائكة، ومنعه من المشركين حين هاجر، وأخفى عنهم أثره في الغار حين طلب، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى: أي: بانقطاع الحجة وذُلّ الخوف، وكلمة الله هي العليا: بظهور الحجة وعز الظفر)[١]، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وإذا تدبرنا السياق، نجد أنه بتصادم كلمة الذين كفروا بكلمة الله -سبحانه وتعالى-، بطلت كلمة الذين كفروا وتناقضت أمام كلمة الله التي ثبتت واستقرت لأنه سبحانه "عزيز حكيم"، يقول ابن عاشور-رحمه الله-: "وهذا تذييل لمضمون الجملتين؛ لأن العزيز لا يغلبه شيء، والحكيم لا يفوته مقصد، فلا جرم أن تكون كلمته العليا وكلمة ضده السفلى"[٢].

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾[٣]

جاءت هذه الآية في سياق امتنان الله على عباده بصلح الحديبية، وأنه فتح مبين؛ بسبب الحِكَم التي ترتبت عليه وهي: حتى يزداد المؤمنون إيمانا، وتزداد أعمالهم الصالحة فيستحقوا جنته، وفي المقابل يعذّب المنافقين والمشركين الذين ظنوا بهذا الدين ظن السوء؛ وهو أنه سيضمحل بجنود فارس والروم، فخيَّب الله ظنهم وأظهر دينه، يقول الطبري -رحمه الله- : "ولله جنود السماوات والأرض أنصارا على أعدائه، إن أمرهم بإهلاكهم أهلكوهم، وسارعوا إلى ذلك بالطاعة منهم له"[٤]، و﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، ولما كان سياق الآية يلوح

(١) انظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن مُحَمَّد، (د.ت)، النكت والعيون، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ص٣٦٣-٣٦٦، بتصرف.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ج١٠، ص٢٠٦.

(٣) سورة الفتح، آية٧.

(٤) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي الأحكام، ط١، ج٢٢، ص٢٠٦.

بالتهديد والوعيد للمشركين والمنافقين بالعذاب، والوعد لأولياء الله من المؤمنين بإيصال الثواب، ولما كان ذلك متوقفًا على تمام القدرة والعلم، ختمت الآية بما يدل عليها؛ "لأن العزيز الذي يغلب ولا يغلب، والحكيم الذي يضع الشيء في أحسن مواضعه"(١).

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧﴾(٢):

جاءت هذه الآية من سورة الأنفال في سياق عتاب النبي ﷺ على أخذه الفداء من أسرى بدر، ولمقامه ﷺ عند ربه، لم يذكر اسمه مباشرة في الآية، وإنما عرَّض بالفعل، وأنه لا يصح حتى تتكون قوة عند الطرف الآسر وتتعمق هيبتهم في النفوس، وفي قوله: ﴿يُثۡخِنَ﴾ وجهان: "أحدهما هو الغلبة والاستيلاء، والثاني هو كثرة القتل؛ ليعزَّ الله به المسلمين ويذلَّ به المشركين"(٣)، ثم توجَّه الخطاب للصحابة -رضوان الله عليهم-، ومعاتبتهم على إيثار متاع الدنيا وعبَّر عنه ب﴿عَرَضَ﴾ وهو الشيء محدود الأثر الذي يصير إلى زوال، في حين أنه -سبحانه- أراد لهم الآخرة ونعيمها الباقي، وختمت الآية باسميه "العزيز الحكيم"؛ لينتبهوا إلى الغايات والحِكَم التي أرادها -سبحانه- من وراء هذا الإثخان، فيركنوا إلى "العزيز" الذي يفيد الاستعلاء والاستغناء عن الاحتياج، ويحمدوا "الحكيم" لأنه يعلم حقائق الأشياء، وجاءت جملة الفاصلة كالتعليل لقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾، "وهو يفيد أن حظ الآخرة هو الحظ الحق لذلك يريده العزيز الحكيم"(٤)، وقد يكون تعليلًا لقوله: ﴿حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، وهذا مناسب لاسمه "العزيز"، ثم إن هذا الأمر لا يكون لغاية البطش والدمار كما في الاستعمار المعاصر، وإنما هو لحكمة تُحقق المصلحة للإنسانية وهذا مناسب لاسمه "الحكيم".

(١) البقاعي، نظم الدرر، د.ط، ج١٨، ص٢٩١.

(٢) سورة الأنفال، آية٦٧.

(٣) الماوردي، النكت والعيون، د.ط، ج٢، ص٣٢٣

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ج١٠، ص٧٧.

قال تعالى: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾[(١)] :

تأتي هذه الآية في سياق الحديث عن صلح الحديبية، وقد امتدح سبحانه المؤمنين الصادقين الذين بايعوا النبي ﷺ يوم الحديبية على الثبات في القتال وعدم الفرار مهما اشتد؛ لذلك ﷻ لعلمه بصدقهم، وكافأهم بنزول السكينة على قلوبهم المتألمة من شروط الصلح الجائرة، وبشَّرهم بفتحٍ قريب، وكان فتح خيبر، ولم يحضره سواهم، وخصَّهم بغنائمه، جزاء وشكرا على ما فعلوه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ يقول الطبري -رحمه الله-: "ذا عزة في انتقامه من أعدائه، وحكمة في تدبير خلقه وتصريفه إياهم فيما شاء من قضائه"[(٢)] ، بهذين الاسمين اعتراض يفيد تعليل الوعود بالآية، من الفتح القريب، والمغانم الكثيرة؛ لأن ذلك من آثار عزته وحكمته، "فالعزيز: الذي يغلب ولا يغلب، والحكيم الذي يتقن ما يريد فلا ينقض"[(٣)] .

الخلاصة: ترى الباحثة أن الفاصلة في "العزيز الحكيم " في سياق آيات القتال غايةٌ في المناسبة؛ فالعزيز هو الغالب الذي لا يغلب، واسمه يوقع في القلب الهيبة لعظمته، كما أن الإمداد بالملائكة وإجراء المعجزات مما يختص به العزيز دون سواه، وتقتضيها الحكمة، وتُمليها طبيعة المرحلة التي تمر بها الدعوة، فهو بعزته يعزُّ من توَكَّل عليه واستجار به، وبحكمته يفعل ما تستحيله العقول وتحار فيه الألباب.

(١) سورة الفتح، آية١٩.

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي الأحكام، ط١، ج٢١، ص٢٨٩.

(٣) البقاعي، نظم الدرر، د.ط، ج١٨، ص٣١٧

المبحث السادس: تعلق اسم الله "العزيز" واسمه "الحكيم" في سياق تنزيل الكتاب، وما تضمنه من الشرائع والأحكام:

سياق تنزيل الكتاب:

ورد الاقتران بين اسمي الله " العزيز الحكيم" في سياق تنزيل الكتاب، إيذاناً بظهور أثرهما فيه، بجريان أحكامه ونفاذ أوامره، وذلك في أربع آيات مكية وتفصيلُها كالتالي:

قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ (١) :

وبالنظر في أغراض تلك السُّور، نجد أن أغراضها تَحوم حول إثبات تفرد الله بالوحدانية وإبطال الشرك، ومحور هذا الكتابَ وقضيَّته الكبرى، التي تَعتبر أُمَّ قضاياه هي هذه القضية، فيخبر -سبحانه- أن تنزيل الكتاب لا يكون إلا من عنده، وإذا صحَّ ذلك فإنه يستلزم أنه منه قولًا، كما أنه منه تنزيلًا، كما أن لفظ التنزيل يستلزم إثبات علُو المنزَّل من عنده، المتفرد في ألوهيته وعزَّته وحكْمته، وإذا استقر ذلك في القلب، قاده إلى التوحيد طوعا، وتخصيص ختام الآية بهذين الاسمين الكريمين فيه إشارة إلى أن ما ينزل في هذا الكتاب يناسب الصفتين، فهو كتاب "عزيز" أي: غَالب بالحجَّة لمن يكَذِّب به، وغَالب بالفضل على ما سواه من الكتب المنزلة؛ فهو المهيمن على ما سبق من الكتب، وغَالب بالتحدّي لبلغاء العرب أن يعارضوه، وهو كتاب "حكيم" أي: محكم متقن، وما نزل فيه مناسبَ لحكمته، وقد أعجزت حكمته الحكماء (٢) .

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣﴾ (٣) :

هذه الآية فيها تقرير بأن الله أوحى لمحمد ﷺ القرآن الكريم، كما أوحى للرسل قبله بالكتب السابقة، كما أن بها إشارةً إلى أن ما أوحى به -سبحانه- في هذه السورة العظيمة،

---

(١) سورة الزمر، آية١. سورة الجاثية، آية٢. سورة الأحقاف، آية٢.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ج٢٣، ص٣١٤، بتصرف.

(٣) سورة الشورى، آية٣.

هو من جنس ما نزل به القرآن من عقائد وأحكام، ومن جنس ما نزلت به باقي الكتب السماوية، وأن هذا الإيحاء اختص به ﴿ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، وإذا علمنا أن الله – سبحانه– يصطفي لرسالته من يشاء من رسله، علمنا أن لهذين الاسمين مزيد اختصاص بهذا الغرض؛ فالعزيز: هو الذي له مطلق التصرف بما يريد لا أحد يصدُّه، والحكيم: الذي لا يبلغ إلى مثل معاني كلامه أحد، وهذا متمِّم للغرض الذي افتيحت به السورة وهو: التحدي للمعاندين أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم [(١)]، كما نلمح بالفاصلة بهما معنى التهديد بإيصال العذاب للمخالفين لهذا الوحي، والوعد بإيصال الثواب للطائعين، وهذا ما يتضمنه معنى "العزيز الحكيم".

سياق التشريعات والأحكام:

ورد الاقتران بين اسمي الله "العزيز الحكيم" في سياق سلسلة من التشريعات والأحكام، وتُختم بهما كنوع من الرقابة والضمان على إنفاذ تلك التشريعات، ونبينها كما يأتي:

قال تعالى: ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٢٠﴾ [(٢)]:

هذه الآية متصلة المعنى بهدي الله تعالى في الآية قبلها، وتأتي في سياق سلسلة من الآيات في إصلاح الأحوال التي كان الناس عليها في الجاهلية، فتبدأ بالخمر والميسر فكانت أول ما نزل في حكمهما ممهِّدا لتحريمهما، ثم النفقة تبرعا، وبيَّن أنها فيما زاد عن الحاجة، وختم الآية بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾، ثم اتصلت بالآية موضوع الدراسة، فقال: ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾، واختلف المفسرون في معناها فقيل:

(١) انظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ج٢٥، ص٢٧.

(٢) سورة البقرة، آية٢٢٠.

هكذا يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون، وقيل: "يبين لكم الآيات في أمر النفقة لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها، فتزهدوا فيها، وفي إقبال الآخرة وبقائها، فترغبوا فيها"(١)، وسبب نزول هذه الآية: "لما نَزَلَت: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا} عزلُوا أَموالَهم (عن أَموالهم) فنزلَت: {قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ} فَخلَطُوا أَموالَهم بأَموالهم"(٢)، ومعنى ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾؛ أي لَشقَّ وضيَّق عليكم بتحريم مخالطة اليتامى، وَختمَت الآية بالتأكيد على عزته وحكمته، فيحتمل أن الفاصلة ب"العزيز الحكيم" تعود على الجملة التي قبلها، فتكون المناسبة: أنه قادر على أن يعنت على العباد، ولكنه لم يشأ لحكمته، ويُحتمل أن تكون الفاصلة تعود على جميع الأحكام السابقة المتعاطفة، فتكون المناسبة: أنه عزيز فيما شرع، حكيم فيما منع، لا يكلِّفهم إلا بما تقتضيه المصلحة. وفي هذه الفاصلة تلويح بالتهديد، فعلى الاحتمال الأول: التهديد لمن يخالط اليتامى بأن يقدّم لهم كل ما تقتضيه مصلحتهم؛ لأن الله عزيز على من ظلمهم، حكيم في تشريع المخالطةَ بما يحقق المصلحة دون تعدّ. وعلى الاحتمال الثاني: لمن يتهاون في تنفيذ أحكامة المتضمنة للحكمة والمصلحة.

قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾(٣):

هذه الآية جاءت في سياق أحكام النكاح وما يترتب عليه من نفقة، وطلاق، وعِدَّة، فحدَّد الشارع الحكيم عِدَّةَ المطلقة بثلاث حيضات –وقيل أطهار على خلاف معنى القرء

(١) البغوي، (١٤٢٠هـ)، أبو مُحَمّد الحسين الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج١، ص٢٨٣.

(٢) الواحدي، أسباب النزول، ط١، ص٧٣.

(٣) سورة البقرة، آية٢٢٨.

عند المفسرين-، ونهى المطلقة عن إخفاء أمر الحيض أو الحمل، وذلك لحق الزوج أن يردها لذلك الحمل إن عزم على الإصلاح لا الإضرار، وللنساء حقوقٌ على الأزواج كما أنه للأزواج عليهن واجبات، إلا أن للرجال عليهن درجةَ تكليف وتشريف؛ بسبب القوامة والإمرة والإنفاق، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: في انتقامه ممن خالف أمره وتعدَّى حدوده، وفيما حكَم وقضى من أحكام مبنيَّة على الحكمة البالغة والمصلحة. ولقد تضمنت الآية الكريمة عدة تشريعات وأحكام فناسب أن تُختم بما يناسب التكليف من التلويح بعزته وحكمته ﷻ.

وفيها -أيضا- تذييل وإقناعٌ للمخاطبين كما نوَّه ابن عاشور[(١)]، ويقصد بذلك الرجال الذين ما اعتادوا أن يكون للمرأة حقوق في الجاهلية، فإذا بها تأخذ حقَّها كُرها عنه إن أبى في الإسلام، فكأنَّ بعضهم يرى ذلك جرحا لعزته؛ لذلك ختمت ب"العزيز الحكيم".

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾[(٢)].

اختلفت أقوال المفسرين في هذه الآية، واختيار الجمهور أنها منسوخة، قالوا: كان هذا الحكم أول الإسلام قبل فرض الميراث، وهو النفقة والسكنى سنة، لئلا تتزوج، ولم يكن ذلك ملزما، لكن إن خرجت قبل الحول سقطت نفقتها[(٣)]، وختمت الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فقد أوجب الله -تعالى- في هذه الآية عدة أحكام، فمن خالفها وتعدَّاها فقد عرَّض نفسه للعقوبة، فهما بمثابة دليلٍ لقدرته على إيصال العقاب لمن خالف، والثواب لمن أطاع، بالقدر المعلوم والوقت المعلوم، وحكمته في تشريع ما يُحقق المنفعة ويلائم الفطرة.

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ج٢، ص٤٠٣.

(٢) سورة البقرة، آية٢٤٠.

(٣) انظر: الرازي، التفسير الكبير، د.ط ج٦، ص٤٩٢. بتصرف.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ (١):

تأتي هذه الآية في سياق أحكام متعلقة بالاعتداء على الآخرين، فيذكر في هذه الآية حدَّ السرقة، وهو قطع يد السارق والسارقة، ردعا لهم، وحفاظًا على أمنِ الناس، وأموالهم وأنفسهم وأعراضهم، فهذا ما ضمنته لهم هذه الشريعة الغرَّاء حتى يعيش المجتمع في أمن واستقرار، والأمر على الوجوب، ولما ذكر العقوبة قال في آخرها ﴿نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يقول السعدي -رحمه الله-: "تنكيلًا وترهيبا للسارق ولغيره، ليرتدع السراق، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عزَّ وحكم فقطع السارق" (٢)، ولا يخفى ما في هذه الفاصلة من التحذير والتنبيه والوعيد لمن خالف، واقتران هذين يورث في القلب المهابة؛ فالعزيز الغالب لكل شيء تأتي عقوبته عن قوة وقدرة، وأتبعه بالحكيم؛ حتى لا يظَنَّ أن قدرته غير منضبطة بل هي وفق حكمة، شرع لأجلها ما شرع. يقول أبو حيَّان: "عزيز في شرع الردع، حكيم في إيجاب القطع" (٣).

الخلاصة:

- ترى الباحثة أن تخصيص ختام الآيات في سياق إنزال الكتب والتشريعات وما حوته من أحكام فيه إشارة إلى أن ما ينزل في هذا الكتاب يناسب الصفتين، فهو كتاب"عزيز" أي: غالب بالحجَّة وبالفضل على ما سواه من الكتب المنزلة، وهو كتاب حكيم أعجزت حكمته الحكماء.

- وأما مناسبتها للتشريع فتتضح في أنه عزيز فيما شرَعَ حكيم فيما منَعَ، لا يُكَلِّفُهم إلا ما تقتضيه المصلحة.

(١) سورة المائدة، آية٣٨.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، د.ط، ص٢٣٠.

(٣) أبو حيان، البحر المحيط، ط١، ج٤، ص٢٥٥.

المبحث السابع: تعلق اسم الله "العزيز" واسمه "الحكيم" في سياق الوعد والوعيد:

قال تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ (١):

لو تدبَّرنا هديه ﷻ في الآيات السابقة، نجد أنه ﷻ قد بين لعباده جملة من الشرائع والأحكام، ثم أمرهم أن يأخذوا بها جميعا؛ لأن الدين كُلٌّ لا يتجزأ، فلا يصح أن يتركوا شيئا منها، وحذَّرهم من طُرق الشيطان، وأكد عداوته لهم؛ ليكونوا على حذر منه، ثم توعَّدهم إن انحرفوا عن طريق الحق من بعد ما جاءتهم الحجج الواضحة من القرآن والسنة، بقوله: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وفي ذلك يقول البقاعي: "ولما كان الخوف حاملاً على لزوم طريق السلامة قال: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ﴾، فإن العلم أعون شيء على المقاصد ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾، الحاوي لصفات الكمال ﴿عَزِيزٌ﴾، لا يعجزه من زلّ ولا يفوته من ضلَّ، قادر عليكم لا تعجزونه ولا تُمنعون منه، ﴿حَكِيمٌ﴾، يعاقب من يستحق العقوبة، وهذا تحذير يوجب الخوف منه، وظَنَّ البعض أن ذكر المغفرة والرحمة يليق بهذا المقام، ويردُّ عليه بأن ذلك يفيد الإغراء عليه والإطماع فيه، وهو -سبحانه- أقام الحجة وأوضح الطريق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ (٢):

بعد أن توعَّد الله -سبحانه وتعالى- اليهود في الآية السابقة بعذاب جهنم، عمَّم التهديد في هذه الآية لكل الكافرين الذين جحدوا ما أنزل الله من آياته، بأنه سوف يصليهم نارا، يقاسون حرَّها، كلما نضجت جلودهم بدلهم غيرها ليستمر العذاب، وقد توصل العلم

(١) سورة البقرة، آية٢٠٩.

(٢) سورة النساء، آية٥٦.

الحديث إلى أن مراكز الإحساس بالألم توجد في الطبقة العليا من الجلد، بينما الطبقات السفلى فقيرة بمستقبلات الألم، وهنا يتضح إعجاز كلامه -سبحانه-، حيث أنه سيتغير جلدهم باستمرار حتى يستمر الألم، فسبحان الله، وجاءت الفاصلة بهذين الاسمين الكريمين كالتعليل لما تضمَّنته الآية من ذكر الإصلاء بالنار، والتبديل، ولما كان هذا الأمر غير معهود مثله، وقد يثير التعجب، ختمت بما يدل على قدرته وقوَّته وغلبته وهو اسمه "العزيز"، وما يدلُّ على أنه يعاقب بعدل من يستحق، وهو اسمه "الحكيم".

قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩﴾[(١)] :

في بداية هذه السورة الكريمة أثنى ﷻ على المؤمنين، الذين قرنوا بين الإيمان بهديه والعمل به، وذَكَر جَملةَ من أعمالهم التي أهَّلَتهم للفوز والفلاح، ثم ثَنَّى بذكر فريق آخر على النقيض، قرنوا بين الضلال والإضلال، فصدُّوا عن القرآن وسماع هديه، واجتهدوا بشراء كل ما من شأنه أن يصدَّ الناس عنه، وقد توعدهم -سبحانه- بعذاب من جنس عملهم، وصفه أنه مهين؛ لأنهم استهزؤوا بآياته، ثم ثَنَّى -والقرآن مثاني- بوعده وتبشيره المؤمنين بالجنة خلودا، لا يخرجون منها، وأكَّد ﷻ الوعد بمزيد توكيد فقال: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۚ﴾، وإذا كان الوعد من الله فلابد من نفاذه؛ لأن الوفاء بالوعود من سنن الله -تعالى- ومعهود شأنه، "﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ يقول ابن عاشور-رحمه الله-: "وإجراء الاسمين الجليلين على ضمير الجلالة؛ لتحقيق وعده؛ لأنه لعزته لا يعجزه الوفاء بما وعد، ولحكمته لا يخطئ ولا يذهل عما وعد، فموقع الفاصلة موقع التذييل بالأعم"[(٢)]، ولعل في الفاصلة "بالعزيز الحكيم" إلماح بالوعيد- أيضا- لفريق المستهزئين، وفي ظلالها- أيضا- إشعار للمؤمنين بأنهم أهل العزة لثباتهم إيمانا وعملاً ويقينا.

---

(١) سورة لقمان، آية٩.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ج٢١، ص١٤٥.

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٦٠﴾[١]:

ذكر الله ﷻ في هذه السورة براهين ربوبيته، وتفرده بالخلق، والرزق، والإنعام، وأقام عليهم الحجة باستحقاقه أن يفرد بالعبادة، وقد ذكرت الآيات السابقة طرفًا من أخطاء المشركين في اعتقاداتهم وسلوكهم؛ وهو ادعائهم أن الملائكة بنات الله مع كراهيتهم للبنات، وهذا من سوء أقوالهم وقبح اعتقادهم، فجاءت هذه الآية لتفيد بأن لله المثل الأعلى في الكمال، يقول السعدي -رحمه الله-: "وهو كل صفة كمال وكل كمال في الوجود فالله أحق به من غير أن يستلزم ذلك نقصا بوجه وله المثل الأعلى في قلوب أوليائه وهو التعظيم والإجلال والمحبة والإنابة والمعرفة"[٢]، وجملة الفاصلة معطوفة على ما قبلها وهي قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ وبذلك تفيد أن الله -سبحانه- منزه عن مشابهة النقائص وهذا ما يفيده معنى العزيز: "أي الذي لا يوجد نظيره، والحكيم: الذي يضع الأشياء مواضعها"[٣]. ويحتمل أن تكون جملة الفاصلة تعليلًا لمضمون الآية فيكون المعنى: أن المثل الأعلى له -سبحانه- لأنه عزيز حكيم: غالب في تنفيذ أمره، حكيم في إمهال عبده. ويلمح من الفاصلة معنى التهديد لمن وصفه -سبحانه- بهذه الصفات.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢٧﴾[٤]:

تأتي هذه الآية لإبطال الشرك بالحجة والبرهان العقلي، فيطلب النبي ﷺ منهم أن يروه الأصنام لينظر لها، إذ كل ما تسهل رؤيته سافل المقدار عن رتبة الألوهية، ولأن آلهتهم على

(١) سورة النحل، آية٦٠.

(٢) السعدي، (١٤٠٤هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، د.ط، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء، ص٤٤٢.

(٣) أبو حيان، البحر المحيط، ط١، ج٥، ص٤٨٩.

(٤) سورة سبأ، آية ٢٧.

وجه الخصوص أدنى الأشياء عن هذه الرتبة؛ لكونها من أخس الجمادات، وهذا الطلب للتعجيز وإظهار خطأهم؛ لأنها كانت بمرأى عينه ﷺ، وفيه مزيد تبكيت لهم بعد إلزام الحجة عليهم، إذ عليهم أن يروه شركاء حقيقة يملكون سمعا وأبصارا وينفعون ويضرون، ولما كان من غير الممكن الإتيان بهم، زجرهم بعنف علّهم يستفيقون من غفلتهم ﴿كَلَّاۚ﴾ "ردع لهم عن المشاركة بعد إبطال المقايسة، ﴿بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ أي الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة البالغة، فأين شركاؤكم التي هي أخس الأشياء وأذلها عن هذه الرتبة العالية؟"[١]، فكانت الفاصلة بهذين الاسمين كالتعليل لاستحقاقه تعالى العبادة وبطلان عبادة الأصنام.

الخلاصة: إن ذكر أسمائه -سبحانه- يغني عن التصريح بالأحكام المترتبة عليها، وقد ختمت آيات الوعد والوعيد بما يدل على قدرته -سبحانه وتعالى- وقُوَّته وغَلَبته وهو اسمه "العزيز"، وما يدل على أنه يجازي بعدل من يستحق وهو اسمه "الحكيم".

الخاتمة

وبعد، فقد اجتهدت ما وسعني الاجتهاد في هذا البحث، ولا أدَّعي أنِّي وفَّيت الموضوع ما يستحقه من البحث، وأحطت به من جميع جوانبه، ولكن حسبي أني اجتهدت وبذلت كل ما أستطيع وأضأت متجاسرة حوله، ومهدت الطريق للباحثين ليصوبوا ويتمّموا ما عجز عنه قلمي، **وتوصَّلَت هذه الدراسة إلى ما يأتي:**

١) ورود هذا الاقتران -في الأعم الأغلب- في سياقات تتعلق بقدرة الله وعظمته وتنزيهه، للتعريف بصفات كماله، وللتأثير في القلوب بما تحمله الفاصلة بهما من معاني الغلبة والقوة والقهر، فيثير الإحساس باستشعار عظمته ومراقبته في الأقوال الظاهرة والنوايا الباطنة، وبذلك يكون الإقرار بالتوحيد خاضعا لعزة الله وحكمته.

٢) ورد هذا الاقتران في السياق القرآني تعقيبا على أحداث وقعت، ومواقف اتخذت ذات شأن استدعي حضورها؛ ليكشف خبايا الصدور، وما تُكِنُّه من حقائق تخالف

(١) أبو السعود، تفسير أبو السعود، د.ط، ج٧، ص١٣٣.

ظواهرها؛ وليُجيب دعاء الملهوف ، ودعوة المضطر، ولينزل نصره وتثبيته لأوليائه، ويتوعَّد بعزته أعدائه، ويراقبَ التزام العباد بتشريعه وسننه في الوجود، وغير ذلك من القضايا المتعددة.

٣) تعلَّقت عزة الله وحكمته في السياق القرآني بتسبيحِ ما في السماوات والأرض إيذانًا بخضوعها لجلاله ﷻ، واعترافًا بتنزيهه عن النقائص، وأفاد الاقتران بعدًا ثالثا للمعنى؛ وهو دفع التوهم بأن الله –سبحانه– محتاج إلى من يسبحه أو ينزهه، بل هو سبحانه منزَّه بذاته، عزيز بحكمته.

٤) وتَعلَّقت بسياق تجلت فيه عظمة الخالقِ ﷻ واستحقاقه للعبودية، وكمال صفاته ونفاذ أمره، وغيرها من الصِّفات، وأفاد الاقتران بعدًا ثالثا، حيث لا تليق تلك الصفات بغير الله "العزيز" فتكون من باب التخلية –أي امتناعها عن البشر–، ثم ثَنَّى بالحكيم أي القادر على إنفاذ الأمور في أحسن وجه وهو من باب التحلية، والتخلية قبل التحلية.

٥) وتعلقت بسياق الدعاء حيث يمتليء القلب بقدرة الله ﷻ على تحقيق المطلوب، ويشرق في النفس التفاؤل لتحقيقه، والفاصلة ب" العزيز الحكيم" في سياق الدعاء غايةٌ في الدقة والإعجاز، ولا يصلح غيرها مكانها، وإن بدا ذلك لمن فاته حظٌّ من التدبر، وأفاد الاقتران بعدًا ثالثا؛ وهو تمكين المعنى المسوق إليه، وإظهار سطوة الله وقوته في مقام التضرع.

٦) كذلك، ورد في سياق آيات الرحمة، حيث يورِثُ في القلب الاطمئنان أن رحمة الله ستمضي كما أراد في الإمساك والإرسال، وأفاد الاقترانُ بعدًا ثالثا؛ وهو أن سياق الآية قد يثير تساؤلًا فتكونُ الفاصلة كالجواب له.

٧) وأُقيم هذا الاقتران شاهدًا على قدرة الله، حيث تَشعر الفاصلة فيهما بلزوم أثرهما؛ لأن من آثار العزيز العقاب، ومن آثار الحكيم العدل، وأفاد الاقتران بعدًا ثالثا؛ وهو دفع التوهم عن النقص أو العيب، فعزته لا تقتضي ظلما وجورا فيطمئن القلب لذلك وتستكين الجوارح.

٨) كذلك، ورد في مواطن عصيبة شديدة في وطأتها على المؤمنين، حيث تتأزم النفوس وتتردَّى الحالة المعنوية عندهم، فهم أحوج ما يكونون إلى ركن شديد، فجاءت

الفاصلة ب"العزيز الحكيم" الذي يفعل ما تستحيله العقول وتحار فيه الألباب، وهذا من شأنه أن يدفع المسلم إلى المضي قدماً في طريق الجهاد، والإقدام على قتال العدو بلا وجلٍ ولا خوف.

٩) وورد هذا الاقتران في قضايا تنزيل الكتاب، وتشريع الأحكام، حيث فرض هذا الاقتران الرقابة السماوية على التزام العباد بالقضايا التشريعية، إذ توحي الفاصلة بعظمة هذا الكتاب وعظمة من أنزله، وتورث في القلب المهابة، فيقف العبد عند أحكامه وتشريعاته موقف الانقياد والطاعة والاستسلام، ثقة بحكمته التي من أجلها شرع ما شرع.

١٠)وأخيرا ورد الاقتران بين اسمي الله "العزيز الحكيم" في مقام الوعد والوعيد، ويلمح بالفاصلة بهما تلويحا بقدرته -تعالى- على إنفاذ ما وعد، أو توعد به، وحكمته بإيصاله على قدر العمل بلا زيادة ولا نقصان.

ختاماً، أسأل الله -سبحانه وتعالى- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يغفر للباحثة تقصيرهَا، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يتقبَّله أحسن القبول ويجعله في ميزان حسنات صاحبته ومشرفه ومناقشيه، وقارئيه وكل من قدَّم لصاحبته نُصحا، أو دعا لها بظهر الغيب، أو تمنى لها خيرا.

أهم المقترحات:

- تقترح الباحثة، أن تفرد دراسة مستقلة لكل اسمين وردا مقترنين من أسماء الله -تعالى- الحسنى والتي لم تتم دراستها بصورة مستقلة؛ حتى تتناول هذه الدراسات المعاني الدقيقة التي تعرفنا بالله ﷻ.
- أن يتم دراسة هذين الاسمين الكريمين دراسة موسَّعة تشمل تفسيرها تحليليًّا وإظهار النواحي البلاغية في الفاصلة بهذين الاسمين الكريمين، وإضافة البعد السلوكي للآيات في حياة المسلم وهذا ما تفتقره هذه الدراسة الموجزة.

المراجع

١. أحمد بن حنبل، أبو عبد الله؛ أحمد بن مُحَمَّد الشيباني، (٢٠٠١م)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ط١، دم: مؤسسة الرسالة.

٢. البخاري، أبو عبد الله؛ مُحَمَّد بن إسماعيل الجعفي (١٤٢٢هـ). **صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**، المحقق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، ط١، د. م: دار طوق.

٣. البغوي، أبو مُحَمَّد؛ الحسين بن مسعود بن مُحَمَّد بن الفراء، (١٤٢٠هـ). **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، ط١، (عبد الرزاق المهدي، المحرر)، بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٤. البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، (١٩٩٥م)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، د.ط، (عبد الرزاق المهدي، المحرر)، بيروت: دار الكتب العلمية.

٥. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحنبلي الدمشقي أبو العباس (١٤١٥هـ). **شرح العقيدة الأصفهانية** (الطبعة الأولى). (ابراهيم سعيد، المحرر) الرياض: مكتبة الرشد.

٦. الجوهري، إسماعيل بن حماد، (١٩٨٢م)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ط٢، (أحمد عطار، المحرر)، القاهر: طُبع على نفقة حسن عباس الشربتلي.

٧. الحليمي، أبو عبد الله الحسين بن الحسن، (١٩٧٩م)، **المنهاج في شعب الإيمان**، ط١، (حلمي مُحَمَّد فودة، المحرر) بيروت: دار الفكر.

٨. أبو حيان أثير الدين، مُحَمَّد بن يوسف الأندلسي. (١٩٩٣م). **تفسير البحر المحيط**، ط١، (تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض وآخرون، المحرر)، بيروت: دار الكتب العلمية.

٩. الخطابي، أبو سليمان حمد بن مُحَمَّد الخطابي. (١٩٨٤م). **شأن الدعاء، ط١**، (أحمد يوسف الدقاق، المحرر)، بيروت: دار الثقافة العربية.

١٠. الرازي، فخر الدين مُحَمَّد بن ضياء الدين بن عمر، (١٩٩٥م)، التفسير الكبير" **مفاتيح الغيب**". د.ط، (قدم له الشيخ خليل محي الدين، المحرر)، بيروت: دار الفكر.

١١. الزجاج، أبو إسحاق؛ إبراهيم بن السري، (١٩٧٥م). **تفسير أسماء الله الحسنى**، ط٢، (أحمد يوسف الدقاق، المحرر) بيروت: دار المأمون للتراث.

١٢. الزركشي،بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر، (٢٠٠٧م)، **البرهان في علوم القرآن**، د.ط، (مصطفى عبد القادر عطا، المحرر)، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٣. الزمخشري، أبو القاسم؛ محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، (١٤٠٧هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، (الكتاب مذيل بحاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.

١٤. السعدي، أبو عبد الله؛ عبد الرحمن بن ناصر، (١٤٠٤هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. د. ط. (مُحَمَّد زهدي النجار، المحرر) الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد.

١٥. أبو السعود، العمادي مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى العمادي، (١٩٧١م)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. د.ط، (عبد القادر أحمد عطا، المحرر)، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة.

١٦. السيوطي، جلال الدين. (١٣٦٨هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، د.ط، القاهرة: دار الفكر.

١٧. الطاهر عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد، (١٩٨٤م)، **تفسير التحرير والتنوير" تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"**، د.ط، تونس: الدار التونسية.

١٨. الطبري، أبو جعفر؛ مُحَمَّد بن جرير. (٢٠٠١م). **جامع البيان عن تأويل آي الأحكام**، ط١، (عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية، المحرر) الجيزة: دار هجر.

١٩. الغزالي، أبو حامد؛ مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطوسي. (١٩٨٧م). **المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى**، ط١، (بسام عبد الوهاب الجابي، المحرر) قبرص: الجفان والجابي.

٢٠. عبد الرزاق، مُحَمَّد السيد، (٢٠١٠/٦/٢١م)، **الإعجاز البلاغي في التقديم والتأخير**، بحث علمي منشور في موقع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٢١. الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، (د.ت). **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**. د.ط، (عبد الغني مُحَمَّد علي الفاسي، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٢. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله، شمس الدين؛ مُحَمَّد بن أبي بكر الزرعي (١٩٧٩م)، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء**، ط١، المغرب: دار المعرفة.

٢٣. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله، شمس الدين؛ مُحَمَّد بن أبي بكر الزرعي. (د.ت). **بدائع الفوائد**. د.ط، (علي بن مُحَمَّد العمران، المحرر) جدة: مجمع الفقه الإسلامي.

٢٤. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله، شمس الدين؛ مُحَمَّد بن أبي بكر الزرعي، (د.ت)، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٥. الماوردي، أبو الحسن؛ علي بن مُحَمَّد بن حبيب البصري البغدادي، (د.ت). تفسير الماوردي = **النكت والعيون**. (السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٦. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، (د.ت) **صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله**، (مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، المحرر)، د. ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٧. الواحدي، أبو الحسن؛ علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي الواحدي، النيسابوري،. (١٤١١هـ). **أسباب نزول القرآن** (الطبعة الأولى). (كمال بسيوني زغلول، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.